

منظور تحليلي

رؤى خبير بشأن قضايا السياسات الآنية

ديناميكيات الحرب الأهلية السورية

براين مايكل جنكينز *(Brian Michael Jenkins)*

ملاحظات رئيسية

لن تكون هناك حكومة قادرة، في المستقبل المنظور، على حُكم كل ما كان يُشكّل الدولة السورية الحديثة

يبدو أن قوات الأسد، بدعمٍ خارجي، قد أوقفت تقدُّم حركة الثُّوّار المُجزّأة، بيد أنّ الأسد لن يستطيع استعادة سُلطته الكاملة على البلاد.

تُسيطر قوات الثُّوّار شكلياً على مناطق البلاد التي انسحبت منها القوات الحكومية، لكنها لن تتمكّن هي أيضاً من فرض سيطرتها على كامل سوريا، حتى في حال سقوط الأسد.

إن تحرّكات الأسد مقيّدة بمخاوفه من حدوث انشقاقات، ولذا يعتمد على الوحدات العلويّة النخبويّة التابعة له، والقوة الناريّة الساحقة والموالين الطائفيّين

ألزمت القيود المفروضة على القوى العاملة المُنتشرة الحكومة بالتّخلّي عن أجزاءٍ واسعةٍ من البلاد من أجل الدفاع عن المناطق الإستراتيجية. وقد أدّى هذا التخلّي إلى التّقدّم الأوّلي السريع الذي أحرزته قوات الثُّوّار.

وعلى الرغم من الإنشقاقات في بداية الثورة المُسلحة، تحتفظ قوات الأسد بالتفوّق الكمّي وقوة النيران الفتّاكة على الثُّوّار.

وتعتمد الإستراتيجية السورية المُناهضة للتمرّد على خبرة النظام في قمع تمرّد الإخوان المُسلمين خلال الأعوام 1977–1982، فضلاً عن العقيدة الروسية / السوفييتية خلال احتلال الإتحاد السوفيتي لأفغانستان والحربين الروسيتين في الشيشان.

إنّ ثُلث سكاّن البلاد قد فرّ منها أو نزح داخليّاً. وفي نهاية العام 2014، قد يعيش أكثر من نصف السُّكّان السوريّن كلاجئين، وهذا عاملٌ يُفضي إلى الإرهاب في المستقبل.

من المُحتمل أن تلعب الميليشيات الموالية للحكومة دوراً مُهيمناً بصورة متزايدة في الصراع

الميليشيّات المحلّيّة هي الآن "أسلحة دمار شامل" في سوريا. ويمكن لرجال الميليشيات ارتكاب مجازر بعيداً عن المراقبة لأنهم يعملون خارج قواعد الإشتباك، لكن هناك خطورة من أن تتحوّل الميليشيات المحلّيّة إلى عصبات إجرامية، وهذا الأمر من شأنه أن يخلق مشكلة أمنية طويلة الأمد.

أنصار الأسد الخارجييّن يساعدونه لتحقيق مصالحهم الخاصة

يُعدّ سقوط الأسد ضربةً استراتيجيةً لإيران. إذ ستخسر إيران حليفاً مهمّاً لها، ويخشى قادة إيران أن يكون زوال الأسد مصدر إلهام لحركةٍ داخليةٍ تهدف لإسقاط الجمهورية الإسلامية نفسها.

أمّا دوافع روسيا لدعم الأسد فهي مُعقّدة وتشمل الوفاء بتحالفٍ طويل الأمد، والحفاظ على موقعها الإستراتيجي، وعلى مزامعها كدولة عظمى. تُعارض روسيا التدخّل العسكري الغربي كمسألة مبدأ. كما أن تقارُبها مع الأقلّيّات المسيحية وعداءها للمتطرّفين الإسلاميّين، وهي الكيفية التي ترى فيها الثُّوّار السوريّين، راسخةٌ بعُمق.

تدخّل حزب الله لحماية تحالفاته الإستراتيجية وطرق إمدادات الأسلحة. فبالإستفادة من سنواتٍ من الخبرة القتالية المُكتسبة خلال الحرب الأهلية اللبنانية وحربين مع إسرائيل، كان لمقاتلي حزب الله أهمّيّة خاصة في جُهود نظام الأسد.

لن يُفضي استعداد الأسد لتسليم الأسلحة الكيميائية لا لإنهاء الصراع ولا لإضعاف نظامه

إزالة الأسلحة الكيميائية من سوريا لن تفعل شيئاً يُذكر للحدّ من ما يُرجّح أن يصبح مواجهة طويلة ودامية.

فلا أساس لأي أمل من أنّ تخليص سوريا من الأسلحة الكيميائية قد يُؤدّي إلى إضعاف وإسقاط الأسد. هذه الفكرة تتجاهل التأثير الهائل لأسلحة الأسد التي لا جدال فيها.

من خلال الموافقة على التخلّي عن الأسلحة الكيميائية، يحسّن الأسد فُرص نجاته عبر المُهمّة الطويلة المُعقّدة لتفكيك الأسلحة. وكما يُقال، أنه في بعض الأحيان، يجب أن تتخلّى السحليّة عن ذيلها لتبقى على قيد الحياة.

ستتطلّب إزالة الترسانة الكيميائية السورية بعض اتفاقيّات وقف إطلاق نار محلّيّة مؤقّتة. وقد يُشكّل ذلك مشكلة أكبر بالنسبة للثُّوّار ممّا هي عليه بالنسبة للحكومة التي تستفيد من غياب القتال.

وقد يُفضّل الأنصار الغربيين للثوار المترددين صفقة دولية تُفضي إلى بقاء الأسد في السلطة دون أسلحة كيميائية من مواصلة جهودهم للإطاحة به إذا كانت هذه الجهود تُشكّل خطراً على إنهاء أسلحته الكيميائية.

لا يمكن إلحاق الهزيمة بالثُّوّار، ولكنهم يعتمدون على الآخرين لإسقاط الأسد

تعكس حركة الثُّوّار العديد من الإنقسامات في العالم المُسلم عامةً – فهو عالمٌ مُجزّءٌ وفي حالة حربٍ مع نفسه.

وبمساعدة من الخارج، تمكّن الثُّوّار من تحقيق انتصارات تكتيكية، إلاّ أنهم غير قادرين على نسجها معاً لتغيير الوضع من الناحية الإستراتيجية.

قاد الثُّوّار حملة حرب عصابات على الصعيد الوطني، لكن أنشطتهم محلّيّة وغير مُنسّقة ولا توجد لديهم استراتيجية قوميّة. لم ينتقلوا بعد من مرحلة مُقاتلي العصابات إلى قوةٍ ميدانيةٍ قادرةٍ على تحدّ وإلحاق الهزيمة بالقوات الحكومية على أرض المعركة.

يعمل الثُّوّار محلّيّاً، ويتعاونون فيما بينهم في بعض الأحيان، لكنهم يفتقرون إلى التحرُّك واللوجستية للنشر بعيداً عن قواعدهم الداخلية مهما كانت المُدّة الزمنية. إن أي تمركُزٍ لقوات الثُّوّار سيكون عُرضةً لسلاح المدرّعات والقوة النارية الساحقة للحكومة.

يُمكن للثُّوّار الإستيلاء على بلدات صغيرة والإمساك بها، ويُمكن لهم التسلّل إلى مُحيط المدن الكُبرى. وباستطاعتهم تنفيذ هجمات إرهابية مُروّعة لجذب الإنتباه، ولكن هذه العمليات لن تقود لإسقاط النظام. لا يستطيع الثُّوّار سوى خلق موقفٍ مُتأرجحٍ يُؤدّي إلى تغيير النظام من الداخل أو يُرغم على التدخّل من الخارج.

ويعكس موقف أمريكا الحذر من تقديم الدعم للثُّوّار شُكوكها من نتائج الصراع ومخاوفها من سقوط أسلحة متطوّرة في أيدي جهاديّين قد يستخدمونها في عملياتٍ إرهابيةٍ ضد الغرب.

ستتزايد سيطرة المُتشدّدين الإسلاميين على حركة الثُّوّار

من خلال تجنيد المقاتلين الأجانب والإنشقاقات من جماعات مُتمرّدة أخرى، أدّى تنامي دور الجماعات الجهاديّة إلى إنقسام حركة الثُّوّار وعدم تشجيع الغرب على تقديم دعمٍ عسكريٍّ كبير.

كُلّما استمرّ القتال، كُلّما ازدادت المخاوف من قُدرة العناصر المُرتبطة بالقاعدة على تعزيز مواقعها، بما يعطيها معقلاً جديداً يمكنها من الاستمرار في شن حملاتها الإرهابية ضد الغرب.

بينما ساند القائد العام لتنظيم القاعدة وكيله المحلّي السوري ضدّ منافسه الأكثر دمويةً فكريّاً، هناك توتّر متأصّل بين القيادة المركزية لتنظيم القاعدة، وهي طليعة ثورية ذات الإيحاء الديني التي ترى نفسها مسؤولةً فقط أمام الله، والوُكلاء المحلّيّن المعنيّين أكثر بولاء السُّكّان المحلّيّن. وعلى المدى الطويل، لن تقتصر جبهات القاعدة على عمليات محلّية.

طالما ليس هناك استفزاز كبير، من غير المُرجّح حُدوث تدخّلٍ عسكري

لن يُنهي إبطال القُوات المُسلّحة السورية القتال. ولا يمكن إعتماد قوات التدخّل الأجنبية على أي جيشٍ سوريٍ وطنيٍ للحفاظ على النظام المحلّي.

إنّ تسامُح المُجتمع الدولي مع فظاعة الصراع السوري غير واضح. أفرزت الصراعات الداخلية في الفترة الماضية كوارث إنسانية دون تدخّلٍ أجنبي.

أعاق الإرث المُرّ في العراق وأفغانستان التدخّل العسكري الغربي، ولكن الهجمات الإرهابية من معاقل الجهاديّين في سوريا قد تُؤدّي إلى ضرباتٍ عسكريّةٍ ضدّ الجهاديّين.

وربما يُجبر العالم الخارجي على التعامل مع سوريا المجزءة وليس دولة سوريا.

التيارات الطائفية التي تُقسّم البلاد والمنطقة، هي السبب الرئيسي للصراع السوري، وستعوّق طرق التوصّل إلى حلٍّ للأزمة

تحلّ كيانات طائفية ذات ولاءات تتجاوز الحدود السورية محلّ المؤسّسات الوطنية السورية.

ويتم تجنيد الميليشيات الشيعية لا للقتال نيابةً عن الأسد، وإنما للدفاع عن المواقع الدينية الشيعيّة في سوريا، وذلك في تشديدٍ على القضية الطائفية. كحزب الله، قد تكون الميليشيات الشيعية مُلتزمةً لقادة إيران أو للشّيعة خارج سوريا أكثر من ما هي للأسد. هذا الأمر له آثارٌ على مستقبل سوريا.

ما بدأ كتمرّدٍ ضد نظام الأسد قد تحوّل إلى حربٍ طائفيةٍ وُجوديةٍ حيث لا أحد يعتقد أنه يستطيع البقاء على قيد الحياة في سوريا مُسيطر عليها من قِبل خُصومه.

وكُلّما طال أمد القتال بين السوريّين، كُلّما ازدادت وطأة الحرب الطائفية. وكُلّما كان القتال وحشيّاً، كُلّما ازداد التطهير الطائفي. وكُلّما تراكمت أسباب الإنتقام، أصبحت إمكانية التوصّل إلى تسوية سياسية أمراً غير مُرجّح.

وبينما يتمركز اللاجئون في جيوب طائفية، سيصبح القتال أكثر هجوماً وقساوةً وأقلّ مرونةً – أي حرب من عدّة محاور.

وقد تصبح الجيوب الطائفية الحدود الجديدة فعليّاً، ماحيةً بذلك الحدود التي رسمتها القوى الإستعمارية منذ قرنٍ.

وقد تتشعّب الطبيعة الطائفية المُتزايدة للصراع وتنتقل إلى مجتمعات الشتات السورية.

تتراجع المؤسسات الوطنية في سوريا، وتُستبدل بولاءات محلّية وخارجية

تسحق الحرب الأهلية في سوريا المؤسسات الوطنية في البلاد في حين أن الظروف مُهيّئة لصراعٍ محلّي مستمرّ.

لا تُسيطر حكومة الأسد سيطرة مباشرة على حزب الله. ولا يُعرف مدى سيطرتها على المتطوّعين الأجانب الآخرين. وقد تفقد الحكومة الهيمنة على الميليشيات الخاصة بها.

على الرغم من أن الحكومة الوطنية ستبقى صامدةً على الورق، إلاّ أن المؤسسات الوطنية، بما في ذلك القوات المسلّحة السورية، ستتلاشى، ليحُلّ محلّها خليطٌ من كياناتٍ محلّيةٍ مستقلّةٍ بشكلٍ متزايد.

التسوية السياسية غير مُرجّحة

أصبحت الحرب الأهلية السورية صراع وجود بالنسبة لكل الأطراف المعنيّة، والسيناريو الأرجح هو استمرار صراع مُسلّح لعدة سنوات.

حتى أن سقوط الأسد لن ينهي الصراع، فكل الأطراف مُصمّمة على مواصلة القتال، وهو ما سيحدث على الأرجح.

إن الفظائع التي تُرتكب ضد المدنيين السُّنّة تؤكد ولاء قوات الأمن للنظام، وعدم توقّع جنود الأسد والميليشيات التابعة له النجاة تحت أي حكومة أخرى، ومن ثم سيواصلون القتال حتى في حال سقوط الأسد.

وفي بعض الأحيان يبدو المتحاربون في سوريا وأنصارهم في الخارج أقلّ تركيزاً على الصراع الحالي من المناورة، لتأكيد مواقعهم في خريطة سوريا ما بعد الأسد، بدءاً من السيطرة على الأرض وانتزاع أراضٍ وتأمين المكاسب وجمع السلاح لمواصلة القتال.

على المدى القريب، على السياسات أن تفترض استمرار الصراع ومحاولة التخفيف من آثاره بدلاً من اتباع استراتيجيات تهدف إلى تغيير النتيجة.

إن محاولات الولايات المتحدة وحلفائها لاتّباع سياسات ثابتة قد تضطرها إلى الخضوع، في بعض الأحيان، لمناورةٍ نفعية.

قد تتطوّر الحرب الأهلية في سوريا إلى حرب إقليمية واسعة

إن النزاع الذي طال أمده في سوريا يطرح إمكانية نُشوب حرب إقليمية أوسع بين السُّنّة والشّيعة، مع مواجهة بين روسيا والولايات المتحدة من خلال الإنقسام الطائفي.

ليس بالضرورة أن تشمل حرب إقليمية واسعة حرباً مفتوحةً بين القوى الإقليمية الكبرى. فالجيوش الوطنية لن تجوب في الصحراء. بل قد تكون حرباً على عدّة جبهات مع توغُّلاتٍ عسكريةٍ محدودةٍ واستمرار حرب العصابات وحملاتٍ إرهابيةٍ متعدّدة.

يُشكّل المقاتلون الأجانب الذين يتدفّقون إلى سوريا تهديداً إرهابيّاً دوليّاً في المستقبل

في أوروبا، يُنظر إلى الآلاف من المقاتلين الأجانب الذين انضمّوا إلى الثُّوّار السوريّين، كتهديدٍ أكبر بكثير من الجيل السابق للمحاربين الجهاديّين العائدين من أفغانستان، وذلك بسبب قُربهم وحجمهم.

ليس لدى كل المتطوّعين الأجانب الذين انضمّوا إلى قوات الثُّوّار في سوريا العزم على القتال. فالبعض قد يكون أكثر قليلاً من جهاديّين سيّاح يبقون بعيداً عن أي أذى ويلتقطون صوراً لأنفسهم ويتفاخرون بها أمام أصدقائهم في بلدانهم على وسائل الإعلام الإجتماعية.

إلاّ أن هناك قلق من إعادة توجيه المتطوّعين الأجانب، عند

وصولهم إلى سوريا، لتنفيذ عمليّات إرهابية في الغرب. يُذكر أن محمد عطا جاء أصلاً للقتال في أفغانستان ولكنه عُيّن بعد ذلك من قِبل تنظيم القاعدة لقيادة عمليّات 11 أيلول.

يواجه السوريّون مُستقبلاً مُظلماً

إن التوصّل إلى تسوية سياسية تُعيد اللاجئين السوريّين إلى ديارهم الأصلية أصبح أمراً غير مُرجّح. ويبدو أنه من الأرجح أن إعادة التجميع والتوطين ستجعل من الجيوب العرقية والطائفية السورية سِمات دائمة في هذا المشهد. ممّا سيبطّئ من الإنتعاش الإقتصادي السوري.

وستزيد قضية اللاجئين السوريين من التوتّرات الطائفية القائمة في البلدان المُجاورة، إذ سيصبحون مستودعاتٍ لتجنيد أجيال جديدة من المقاتلين والمجرمين.

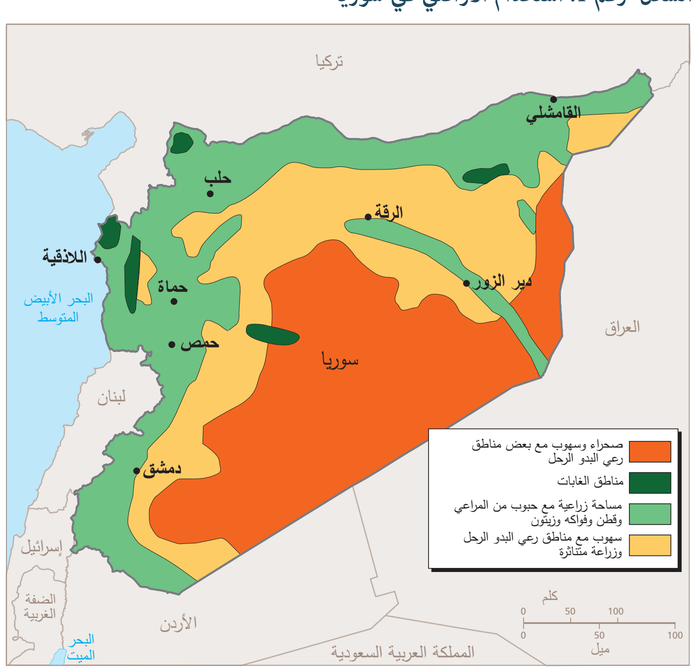
وسنتعامل مع مُخلّفات الحرب الأهلية السورية لعقودٍ من الزمن.

ديناميكيات الحرب الأهلية السورية

لم يعد هنالك وجودٌ لسوريا، باستثناء كونها بُقعة لونية على الخريطة. لن تستطيع أيّة حكومة أن تحكُم ما كان يُمثّل دولة سوريا الحديثة في المستقبل المنظور.

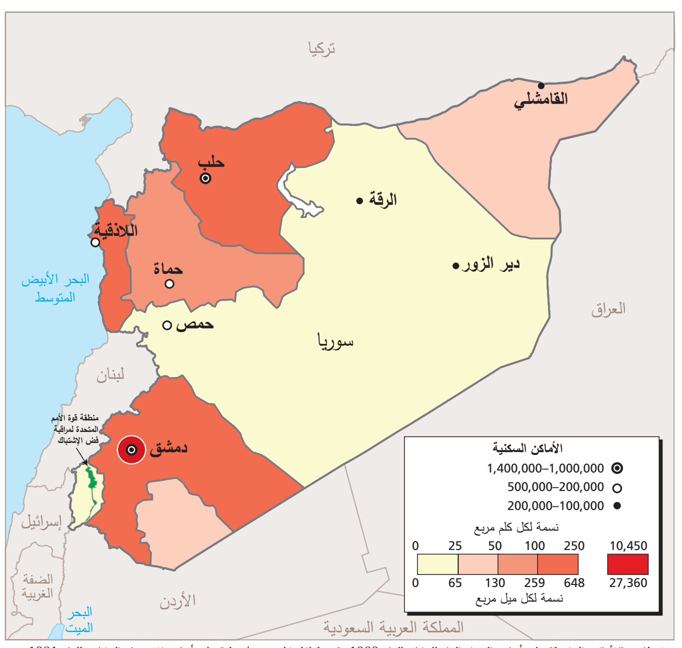
- الحرب الأهلية في سوريا هي حول ما إذا كان بشار الأسد سوف يستمر في قيادة الحكومة السورية، إلّا أنها تعكس، على نحو متزايد، تيّارات طائفية أوسع تُقسّم البلاد والمنطقة. هذا هو السبب الرئيسي للنزاع السوري. وهو ما سيُعيق حلّه.
- بعد ما يقارب الثلاث سنوات من القتال، أكثر من 125,000 شخص، من أصل عدد سُكّان سوريا البالغ قُرابة ال 22 مليون نسمة، لقوا حتفهم في الصراع. إنّ ثُلث سكّان البلاد قد فرّ منها أو نزح داخليّاً. ومع نهاية العام 2014، قد يعيش أكثر من نصف السُّكّان السوريّين كلاجئين، وهذا عاملٌ يُفضي إلى الإرهاب في المستقبل[1].
- يبدو أن قوات الأسد، مدعومةً من روسيا وإيران وحزب الله والمتطوّعين الشيّعة من الخارج، قد أوقفت تقدُّم حركة الثُّوّار المُجزّأة، بيد أنّ الأسد لن يستطيع استعادة سُلطته الكاملة على البلاد.
- على الرغم من أن الثُّوّار أصبحوا يُشكّلون قوّة عددها أكثر من 100,000، فإن حركة الثُّوّار تعكس العديد من

الشكل رقم 1. استخدام الأراضي في سوريا



خريطة تظهر من يسيطر وعلى أي أجزاء في سوريا في الحرب الأهلية الحالية وهي تجعل الأمر أكثر منطقية بكثير عند النظر إليها بالترافق مع خرائط أخرى للبلد.
يظهر هذا الشكل استخدام الأراضي في سوريا. معظم البلاد عبارةٌ عن صحراء وسهوب خالية من الاشجار ممّا يسمح ببعض الرعي للبدو الرحل والزراعة المُتناثرة. إن الجزء المزروع من البلاد يقع على طول الساحل السوري على البحر المتوسط، وعلى الحدود الشمالية مع تركيا، وفي قطاع ضيّق على طول نهر الفُرات.

الشكل رقم 2. عدد سكّان سوريا



ملاحظات: "الأماكن السكنية" على أساس التعداد العام للسكان للعام 1989. "نسمة لكل كلم مربع / ميل" على أساس الإحصاء السكاني للعام 1981، من خلال التقسيم الإداري من المستوى الأول.

ليس مُستغرباً أن يكون معظم الناس مركّزين في مناطق دعمت، تاريخياً، الزراعة. لقد كان القتال مركّزاً في هذه المناطق الثلاث: الساحل المتوسطي، المنطقة الحدودية الشمالية، والبلدات الواقعة على طول نهر الفُرات.

الإنقسامات في العالم المُسلم عامةً – فهو عالمٌ مُجزّأ وفي حالة حربٍ مع نفسه. تُسيطر قوات الثُّوّار شكلياً على مناطق البلاد التي انسحبت منها القوات الحكومية، لكنها لن تتمكّن هي أيضاً من فرض سيطرتها على كامل سوريا.

- إن الدور المُتنامي للعناصر الجهادية، مع أعدادهم المُتزايدة من خلال تجنيد المُقاتلين الأجانب والإنشقاقات من جماعات مُتمرّدة أخرى، أدّى إلى إنقسام حركة الثُّوّار وعدم تشجيع الغرب على تقديم دعم عسكري كبير.
- ونظراً لهذه الديناميكية، لا يوجد تغيّر واضح لقواعد اللعبة. إن تدخّل الولايات المتحدة عسكرياً، والذي في وقت ما بدا مُرجّحاً بعد استخدام الحكومة السورية للأسلحة الكيميائية، أو إزالة هذه الأسلحة الكيميائية من سوريا لن يفعلا شيئاً يُذكر للحدّ من ما يُرجّح أن يصبح مأزقاً طويلاً ودموياً. ورُبّما يتصاعد المأزق إلى صراع إقليمي أوسع.
- التسوية السياسية غير مُرجّحة.

مضمون هذا المقال

يستكشف هذا المقال ديناميكيات الصراع السوري – التيارات تحت العناوين المحيّرة. ويهدف إلى تقديم تقييم للوضع دون التظاهر بكونه قادراً على ملأ العديد من الفراغات في ما نعرفه حول الظروف على الأرض. إن الغموض في الصراع السوري هو أكثر من مجرد تحذير، فهو يلقي بظلاله على كل تحليل ويصبغ كل قرار بشأن السياسات.

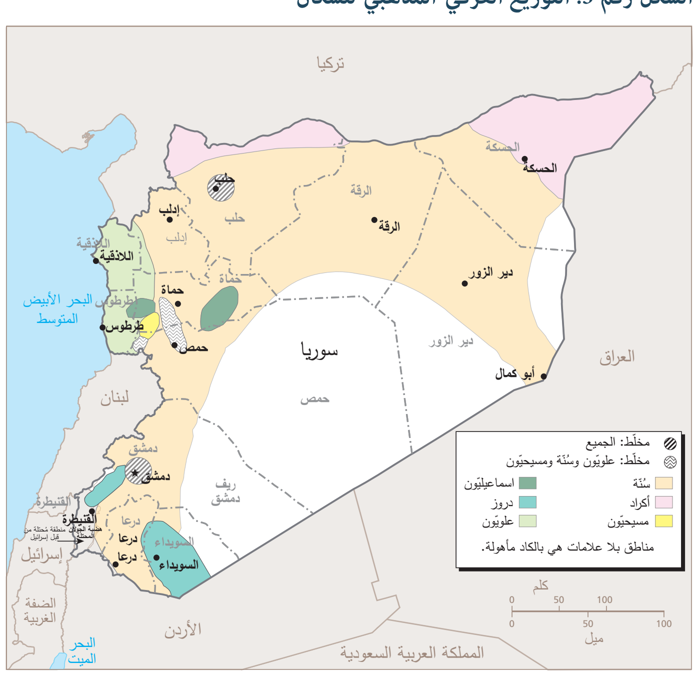
إن الملاحظات التي ذُكرت هنا هي من جرّاء الإطّلاع على المناقشات التي جرت مؤخّراً مع مسؤولين حكوميين ومحلّلين في الشرق الأوسط، وأوروبا، والولايات المتحدة. لقد تم الاستفادة أيضاً من تعليقاتٍ مفيدةٍ من الزملاء في مؤسسة RAND وغيرهم[2]، لكن تبقى الورقة تقييماً شخصياً مستمدّاً من تجربتي وأبحاثي الخاصة على مرّ السنين. ولكي نكون مُنصفين إزاء القارئ، فإن التعليقات المستمدّة من حدسي أو تخميني مبيّنة على هذا النحو.

المتحاربون

قوات الأسد

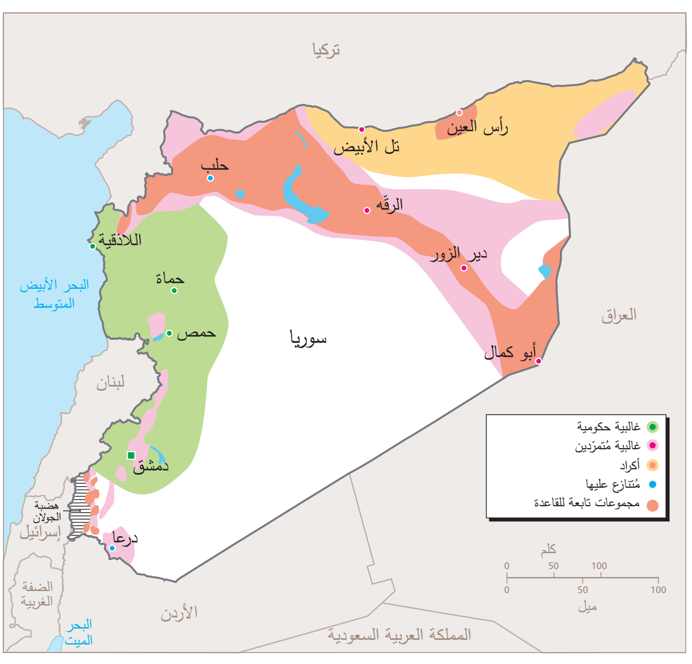
الحالة الحالية. في بداية الإنتفاضة في سوريا، كانت الحكومة تمتلك إحدى أقوى القوات المسلّحة في الشرق الأوسط. إذ كان يبلغ عددها

الشكل رقم 3. التوزيع العرقي-المذهبي للسكّان



المسلمون السُنّة يشكّلون أكثرية سكان سوريا، إلاّ أن العلويّن، الشّيعة (الإسماعيليّين)، المسيحيّن، الأكراد، والدروز هم أقلّيات مهيمنة على الجيوب الجغرافية.

الشكل رقم 4. سيطرة الثُّوّار مُقابل السيطرة الحكومية، حزيران 2013



بالكاد يُظهر الوضع في منتصف عام 2013 من المسيطر وعلى أيّة أجزاء في سوريا. وقد هيمنت الحكومة في المناطق العلويّة، الشّيعيّة، المسيحيّة، الدرزية، والمناطق السُنّية المختلطة في الغرب، مع امساك المُتمرّدين بقسم كبير من الممرّ على طول نهر الفُرات والمناطق الواقعة إلى جنوب غرب البلاد. وكان الأكراد يدافعون عن جيوبهم في الشمال.

الإجمالي أكثر من 300,000 جندي، بما في ذلك 220,000 في الجيش و 70,000 آخرين في سلاح الجو وقيادة الدفاع الجوي. وكانت هذه القوات مدعومةً بـ 350,000 من جنود الإحتياط (تختلف الأرقام بحسب المصدر). وككلّ، كانت التقديرات تُشير إلى أن بإمكان الدولة، من الناحية النظرية، استدعاء 1.7 مليون مقاتل[3].

كان الجيش السوري مسلّحاً بشكلٍ جيّدٍ، بامتلاكه عدّة آلاف من الدبابات القتالية الرئيسية، وأكثر من 4,000 ناقلة جند مُدرّعة. وكانت القوى الجوية تمتلك أكثر من 300 مقاتلة وطائرة للهجوم البرّي بالإضافة إلى 165 طائرة هليكوبتر[4].

وعلى الرغم من أنه كان هناك موجة من الإنشقاقات في وقتٍ مُبكّرٍ من التمرّد المسلّح، فإن قوات الأسد لا تزال تحافظ على حجمها الكبير وعلى ميّزة قوة النيران لديها ضد الثُّوّار. واستطاعت قوات الثُّوّار الإستيلاء والسيطرة، الآن، على مناطق واسعة من البلاد، إلاّ أن قوات الأسد تحتفظ بدمشق، وتمسك بكل عواصم المحافظات، وقواعد الجيش الرئيسية.

قيود على انتشار القوات خلال الثورة. بسبب الخوف من الإنشقاقات، بإمكان الأسد نشر حوالي ثُلث قواته فقط. وهؤلاء، في المقام الأول، هم وحدات النخبة، بما في ذلك الفرقة الرابعة المدرعة، التي لعبت دوراً رئيسياً في قمع التمرّد، والحرس الجمهوري، وأفواج القوات الخاصة المزوّدة، بشكل أساسي، بالجنود المنخرطين في السلك العسكري العلويّين بدلاً من المجنّدين السُّنّة، والتي هي، وبشكل حصري تقريباً، بقيادة ضباط علويّين مرتبطين ارتباطاً وثيقاً بالرئيس[5]. أما الوحدات المتبقّية، المؤلّفة من المجنّدين السُّنّة إلى حدٍّ كبير، فيجري الإحتفاظ بهم في حامياتهم. وهناك تقاريرٌ عن العديد من الضباط المحتجزين في السجن.

يعكس توزيع الأسلحة المتطوّرة لسوريا الموثوقية السياسية. فالقوات الموالية تتولى قيادة الوحدات المدرّعة، بطاريات المدفعية، أنظمة الصواريخ، والقوة الجوية، بما في ذلك طائرات الهليكوبتر، في حين يُشكّل المجندون السُّنّة الأقل موثوقية الجزء الأكبر من المُشاة. وتعتمد القوات الحكومية على قوة النيران الثقيلة هذه لقمع التمرّد. هذا ينسجم أيضاً مع عقيدة مكافحة الثورة السورية. فالطائرات، والمروحيات والعربات المدرّعة السورية سوف تبلى مع الإستخدام المستمرّ، ممّا يضطر الحكومة إلى الاعتماد بشكلٍ كبيرٍ على الإمداد الروسي. وحتى عندئذٍ، فإن مشاكل الصيانة والمعنويات سوف تؤدي، تدريجياً، إلى إنهاك القوات النظامية السورية.

باستثناء وحدات النخبة لديه، يُعتبر معظم الجيش السوري مُجهّزاً ومُزوّداً بالمُجنّدين. وهؤلاء يخدمون عادةً لمدّة ثلاثين شهراً، ممّا يعني أن أولئك المُجنّدين، عندما بدأت الثورة، يقضون الآن فترة ما بعد الخدمة المعتادة. ومن غير المُرجّح أن يتم صرفهم. فقد قلّل التمرّد عدد السكان الموجودين تحت سيطرة الحكومة، ممّا يحدّ من قدرتها على الوصول إلى مُجنّدين جُدد. ذلك ليس مجرد مسألة أعداد، بل مسألة موثوقية. فولاء المُجنّدين السُّنّة الجدد محلّ شُبهة الآن – قد يتم إعدادهم لمنعهم من الإنضمام إلى الثُّوّار، لكن لا يمكن إستخدامهم في المعركة.

إن القيود المفروضة بالفعل على قوتها البشرية القابلة للإنتشار أجبرت الحكومة على التخلّي عن أجزاءٍ واسعةٍ من البلاد من أجل الدفاع عن مناطق استراتيجية. قد يفسّر هذا الأمر التقدّم السريع الأوّلي الذي قامت به قوات الثُّوّار أكثر ممّا تفسّره المعارك الكبرى. وقد جعل هذا الأمر النظام يسعى للحصول على تعزيزات لدى الميليشيات المحلّية والمقاتلين الأجانب مثل تلك التي يقدمها حزب الله.

يبدو من المُرجّح أن تلعب الميليشيات دوراً مهيمناً بصورة متزايدة في القتال. فهذه الميليشيات تحل مشكلة القوى البشرية العاملة والروح المعنوية في سوريا لحماية جيوب موالية للحكومة وطرد المتمردّين ومؤيّديهم من المناطق المتنازع عليها.

إن استخدام الميليشيات المحلية يؤدي إلى استغلال الإنقسامات الطائفية ويوفّر فرصاً إضافيةً لتصفية الحسابات. إذ بإمكان الميليشيات المحلّية، التي تعمل بما يتخطّى قواعد الإشتباك والتي تكون مدعومة فقط عند الضرورة بواسطة القوة الجوية أو المدفعية الحكومية، أن ترتكب المذابح بعيداً عن المراقبة في حين تُقدم للنظام ستراً رقيقاً للإنكار. لكن هناك خطر أن تتحوّل هذه الميليشيات المحلية، وبسهولة، إلى عصاباتٍ إجراميةٍ، ما يخلق مشكلة أمنية على المدى الطويل. هذا النوع من القتال يراكم أيضاً أسباب الإنتقام. ولا يُشكّل أيّ منهما مصدر قلقٍ مباشرٍ للنظام الذي يقاتل من أجل بقائه.

هناك نوعان من الميليشيات في سوريا ذات الأسماء الطنّانة ولكن أصولهما مختلفة. الأول هو ميليشيات "الشبّيحة" (وأصلها باللغة العربية "الأشباح") وهو اسمٌ مستمدٌّ من العصابات الإجرامية المحلية التي تشارك في التهريب وسرقة الآثار، وأنشطةٍ إجراميةٍ أخرى. إن الشبيحة، ومعظمهم من العلويّين، هم بقيادة أقارب الرئيس الأسد، الذين يشاركونهم في مكاسبهم ويزوّدونهم بالحماية. أساساً، هم من البلطجية الذين يتم التعاقد معهم، ويتضمن هؤلاء

قلّل التمرد عدد السكان الموجودين تحت سيطرة الحكومة. ... ذلك ليس مُجرد مسألة أعداد، بل مسألة موثوقية.

مُدانين سابقين مُفرج عنهم من السجن في مقابل الولاء لنظام الأسد والذين يجري استخدامهم الآن لتنفيذ هجماتٍ وحشيةٍ ضد المعارضين للحكومة.

أما النوع الثاني من الميليشيات فهو "الجيش الشعبي"، الذي انبثق عن المنظمات الشعبية وحزب البعث، والذي أنشئ للدفاع عن المدن والأحياء الموالية للنظام خلال انتفاضة الإخوان المسلمين في أواخر السبعينات. هذه "اللجان الشعبية"، كما تسمي نفسها الآن، تم إحياؤها في الحرب الأهلية الحالية للدفاع عن معاقل العلويّن، المسيحيّين، والدروز ضد المُتمرّدين. وبحسب ما يُقال، فإن هذه اللجان مُنظمة ومُسلحة ومُدربة على أيدي الحرس الثوري الإسلامي في إيران وحزب الله. ويُقدّر أحد التقارير قوة هذه اللجان بـ 50,000.[6]

إن الميليشيات المحلية في سوريا هي الآن عبارةٌ عن "أسلحة دمار شامل". إنها تخدم نفس غرض استخدام الأسد للأسلحة الكيميائية لترويع وطرد المدنيّن الذين قد يدعمون الثُّوّار. فبدعمٍ من القوة الجوية والوحدات المدرّعة، تقوم الميليشيات المحلية بالحلول محلّ المُشاة السُّنّة. لقد أصبحت هذه الميليشيات بمثابة قوات الصدمة للنظام، التي تعمل على استئصال المقاتلين المُتمرّدين، وترويع أنصار الثُّوّار المشتبه بهم، وتنفيذ التطهير العرقي. وبينما تتآكل المؤسسات الوطنية، سوف تصبح الميليشيات الحامي الأساسي لجيوب النظام. إن دورها في الأعمال الوحشية ضدّ المدنيّين تضمن ولاءها للنظام – لا يمكن أن يتوقع هؤلاء البقاء على قيد الحياة في ظلّ أية حكومة أخرى وسوف يواصلون القتال حتى لو سقط الأسد. هذا الأمر يُقلّل من احتمالات التوصل الى تسوية سياسية.

إن لتورّط الميليشيات المحلية آثاراً أيضاً على أي تدخّل عسكري أجنبي في المستقبل. فإبطال القوات المسلحة السورية لن يُنهي القتال. ولا يمكن لقوات التدخّل الإعتماد على أي جيشٍ وطنيٍّ للحفاظ على النظام. بل ستكون القوات الأجنبية في مواجهة مجموعة من التشكيلات العسكرية المستقلّة والجماعات الإجرامية.

الدعم الأجنبي للأسد. جاءت روسيا وإيران، اللّتان لم يردعهما الخطاب الغربي بوُجوب رحيل الأسد، لتقديم المساعدات للأسد علناً، وتوفير الغطاء السياسي والمالي والدعم العسكري له في منعطفٍ حاسمٍ عندما بدا أن لدى قوات الثُّوّار فرصةً للإستيلاء على دمشق.

بالنسبة لحلفاء الأسد، كان ذلك قراراً سهلاً. إذ سيكون سقوط الأسد بمثابة ضربةٍ استراتيجيةٍ لإيران. فإيران لن تفقد حليفاً هاماً في المنطقة فحسب، إذ يخشى القادة الإيرانيون من أن يكون زوال الأسد مصدر إلهامٍ لحركةٍ محلّيةٍ تهدف إلى إسقاط الجمهورية الإسلامية. وسيكون سقوط الأسد ضربةً استراتيجيةً أيضاً لحزب الله، حليف إيران. بالمقابل، إنّ بقاء الأسد هو إضافة لهيبة ونفوذ

إن الميليشيات المحلية في سوريا هي الآن عبارةٌ عن "أسلحة دمار شامل".

إيران وحزب الله في المنطقة.

ظلّت روسيا أيضاً حليف الأسد الصامد، ولكن قد يكون لها دوافع أكثر تعقيداً. فالأسد هو حليف روسيا الأخير المُتبقّي في الشرق الأوسط، وسوريا مستهلك رئيس للأسلحة الروسية، وتستضيف على أرضها القاعدة البحرية الوحيدة لروسيا في المياه الدافئة، على الرغم من فائدتها الإستراتيجية المتواضعة. روسيا متمسّكة أيضاً بطموحات القوى العظمى. إنها تعارض التدخل العسكري الغربي كمسألة مبدأ. كما أن تقارُبها مع الأقليات المسيحيّة وعدائها للمتطرّفين الإسلاميّين، وهي الكيفية التي ترى فيها المُتمرّدين السوريين، وهي راسخة بعُمق.

بالإضافة إلى توفير الغطاء السياسي للأسد عن طريق عرقلة قرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة التي كان من شأنها إدانة الحكومة السورية على عمليات القتل الجماعي للمدنيّين واستخدامها للأسلحة الكيميائية، واصلت روسيا شحن الإمدادات العسكرية للجيش السوري، بما في ذلك طائرات الهليكوبتر، وأنظمة الدفاع الجوّي، والوقود، كما قدّمت المستشارين العسكريين لتزويد أنظمة الدفاع الجوي بالمعدّات وتعليم ضباط الجيش السوري كيفية استخدام الأسلحة الروسية الأخرى.

قدّمت إيران الدعم المالي والتدريب للميليشيات السورية. إذ نشرت عناصر المجلس الأعلى للثورة الإسلامية بصفة مستشارين وتقوم، بحسب ما ورد، بتجنيد المتطوّعين الشيّعة الأجانب للقتال في سوريا.

دور حزب الله. بناءاً على إلحاحٍ من إيران انضم حزب الله أيضاً إلى المعركة إلى جانب الأسد. وقد تراوحت التقديرات حول عدد مقاتلي حزب الله في سوريا من 2,000 إلى 10,000 مقاتل. ومهما كان العدد الفعلي، فلا شكّ أن حزب الله يوفّر للجيش السوري قوة من المقاتلين المدرّبين تدريباً جيداً والمجهّزين تجهيزاً جيداً، والذين لهم خبرة في المعارك الشديدة. فبالإستفادة من سنواتٍ من الخبرة القتالية المُكتسبة في الحرب الأهلية اللبنانية وحربين مع إسرائيل، كان لمقاتلي حزب الله أهمية خاصة في جُهود نظام الأسد لاستعادة مدنٍ هامةٍ على طول الحدود اللبنانية، مثل القُصير.

إن التورّط في سوريا يمكن أن يعوق حزب الله ويجعله يتعثّر، ما يخلق استنزافاً كبيراً لموارده ويشتّت انتباهه في الوقت الذي يشوّه به سُمعته بقتله إخوانه المسلمين. وتُشير التقارير الأخيرة إلى أن حزب الله ينسحب الآن تدريجيّاً من سوريا. أما عمّا إذا كان يفعل ذلك لأن مهمّته قد اكتملت الآن إلى حدٍّ كبير، بعد أن

عزّز القوات السورية وطرق الإمداد الخاصة به من خلال سوريا، باستثناء استمرار تدريب الميليشيات السورية، أم لأن ذلك يعكس المخاوف بشأن تهديدات محتملة في لبنان، فإن الأمر غير واضح حتى هذه اللحظة.

تساعد إيران أيضاً في تعبئة المتطوّعين الشّيعة في العراق ولبنان. وقد ظهر عدد من الميليشيات الشيعيّة المستقلة في سوريا في صيف عام 2013. ومنذ ذلك الحين، لعبت هذه الميليشيات دوراً متنامياً في القتال، لتحلّ بذلك محلّ وحدات المشاة السُنّة الأقلّ موثوقيةً من جانب الأسد. ويتم تجنيد الميليشيات الشّيعيّة لا للقتال نيابةً عن الأسد، وإنما للدفاع عن المواقع الدينية الشّيعيّة في سوريا، وذلك في تشديد على القضية الطائفية[7]. وفي حين أنه لا يتوفّر سوى القليل من المعلومات حول مسألة القيادة والسيطرة لديها، كحزب الله، فإنها قد تكون مُلتزمةً لقادة إيران أو للشّيعة في العراق أو لبنان أكثر من ما هي للأسد. هذا الأمر له آثارٌ على مستقبل سوريا – كيانات طائفية ذات ولاءات تتجاوز الحدود السورية تحلّ محلّ المؤسسات الوطنية السورية.

قوى المعارضة

الجيش السوري الحُر. بدلاً من أن تكون حرباً أهليةً ذات وجهين، أصبح القتال في سوريا مشهداً متغيّر الألوان للصراعات الداخلية. إذ يضمّ "جيش" التمرّد أكثر من ألف وحدة مستقلة، وكثير من هذه الوحدات تسمي نفسها كتائب وألوية، ولكن هذه المصطلحات العسكرية لا تعني ما هو معادل لمنظمة أو قوة. يتم تجميع الوحدات المستقلة في كيانات أكبر على أساس الإيديولوجية والولاء الإسمي إلى إحدى فصائل التمرّد الرئيسية أو غيرها، لكن أعدادها وولاءاتها مائعة. فالمجموعات تتجمّع وتنقسم. إذ قد ينشقّ الأفراد القادة لتشكيل مجموعات جديدة. كما ينقل المقاتلون المُتمرّدون ولاءهم من مجموعة إلى أخرى. إن صلاحية إعطاء أمر المعركة لدى المُتمرّدين قصيرة.

إن الجيش السوري الحُر عبارة عن مؤسسة رئيسية لتنظيمات قتالية ممثّلة اسمياً في الخارج بـ "الائتلاف الوطني السوري"، فالجيش يشكّل أول جيل من الثُّوّار، وبزيادة تتضمّن عشرات الآلاف من المنشقّين عن القوات المسلحة السورية، مع انتشار التمرّد واشتداد حدة القتال. فالعديد من المنشقّين من المُجنّدين السُنّة كانوا من الذين عارضوا الهيمنة العلوية وربما احتسبوا أن النظام سوف يسقط بسرعة.

إن الموجة الأولى من الإنشقاقات في الجيش (ومعظم المنشقّين من السُنّة) قد انتهت، وعدد المنشقّين عن القوات الحكومية في انخفاض الآن. فأولئك الذين أرادوا الإنشقاق، وكان بإمكانهم ذلك، قد فعلوا أو قُتلوا وهم يحاولون. وفي الوقت نفسه، يبدو أن احتمالات بقاء النظام قد تحسّنت، والجهود المبذولة لضمان ولاء قواته المتبقّية قد تزايدت. ومن المفارقات أن تكون التكتيكات الوحشية التي تلجأ لها الحكومة عمداً قد تحبط المزيد من الإنشقاقات. إن الإنشقاق أمرٌ محفوفٌ بالمخاطر دائماً، بل إن الجنود السوريّين الذين يفكرون الآن بالإنشقاق يخشون من قتلهم على الفور إذا ما ظهروا في معسكر الثُّوّار. وما لم يكن هناك من تغييرٍ جذريٍ في ساحة المعركة، فسيكون على قوات الثُّوّار الإعتماد على المقاتلين الأجانب وتجنيد المقاتلين في المناطق التي تقع تحت سيطرتهم بالفعل.

مع ما يقارب الـ 50,000 من المقاتلين الموجودين شكليّاً تحت قيادته – نصف مجموع قوة التمرّد تقريباً – اعتمد الجيش السوري الحُر على حملة حرب العصابات مُركزة على إضعاف قوات الأسد وبُنيتهم التحتية، إلاّ أن أنشطتهم محلّية وغير مُنسقة فهم لا يعتمدون على استراتيجية وطنية. وبعد ما يقارب الثلاث سنوات من القتال، تتراوح التقديرات حول الأراضي السورية التي تسيطر عليها كل القوى المناهضة للأسد، بما في ذلك تلك التي تسيطر عليها الميليشيات الكُردية، ما بين 60 إلى 70 في المئة، على الرغم من أن التقديرات تُشير إلى وجود أقلّ من 50 في المئة من السُكّان تحت سيطرة الثُّوّار. (يُعطي الشكل رقم 4 فكرة تقريبيّة عمّن هو المُسيطر وعلى ماذا يُسيطر اعتباراً من حزيران 2013). ويبدو أن الدعم المتزايد للقوات الحكومية من جانب حلفاء الأسد الروس والإيرانيين، إلى جانب زيادة الإقتتال بين قوات الثُّوّار، قد أعطى الحكومة السورية ميّزة، على الأقل في الوقت الحاضر.

يبدو أن الجيش السوري الحُر يفقد قبضته على المزيد من التنظيمات الإسلامية. ففي أيلول عام 2013، انسحب 11 تنظيم إسلامي مُتمرّد، بما في ذلك جبهة النُصرة المُرتبطة بالقاعدة وثلاث تنظيمات إسلامية قوية ولكن أكثر اعتدالاً، كانت جزءاً من الجيش السوري الحُر، من المجلس الوطني السوري، رسمياً، ودعت إلى بذل جهودٍ مُوحّدةٍ ضمن " إطار إسلامي"[8]. وحدثت جولة أخرى من الإنشقاقات عن الجيش السوري الحُر من جانب وحدات أصغر من المّتمردين في تشرين الأول[9].

إن المعارضة غير منظمة، وكانت عاجزةً عن تشكيل حكومةٍ

المجموعات تتجمّع وتنقسم. قد ينشقّ الأفراد القادة. ... ينقل المقاتلون المُتمرّدون ولاءهم من مجموعة إلى أخرى.

سوف يُهيمن الإسلاميون المتشدّدون، وبنحو متزايد، على التمرّد.

مؤقتةٍ وطنيةٍ ذات مصداقية في المناطق التي تُسيطر عليها، على الرغم من أن بعض جماعات الثورة قد وضعت الآلية لحكومة محلية. وقد ازداد تصاعد القتال داخل المعارضة أيضاً من صعوبات الثُّوّار. فالإنقسام الرئيسي هو بين المكونات الأكثر علمانية في قوى المعارضة، الممثّلة في هذا الميدان بالجيش السوري الحُر، وبين مختلف الجماعات الجهادية، وبعضها مرتبط مباشرةً بتنظيم القاعدة. أمّا في الوقت الحاضر، فتبدو المنظمات السُّنيّة، التي كانت مرتبطة يوماً بالجيش السوري الحُر، أكثر راحةً مع السلفييّن الأكثر تطرّفاً أو الجهاديّين، إلاّ أنني أعتقد أن تعاونها مع أيٍّ من قوات الثُّوّار يعتمد على الوضع في أيّة لحظة. وفي الوقت نفسه، تطوّر الإنشقاق بين الجيش السوري الحُر والجهاديّين إلى ما هو أكثر من الخلافات بين "الشركاء في السلاح". إن القتال بين الفصائل المُتمرّدة في سوريا يذكّر بالإقتتال الداخلي الخبيث الذي أضعف المدافعين عن الجمهورية الإسبانية خلال الحرب الأهلية في إسبانيا في الثلاثينات.

في منتصف شهر أيلول عام 2013، أخرج مقاتلون من تنظيم الدولة الإسلامية في بلاد الشام (أو الدولة الإسلامية) [ISIL] التابعة للقاعدة مقاتلي الجيش السوري الحُر من بلدة أعزاز على الحدود التركية. وعاد الجيش السوري الحُر وضرب ممّا أسفر عن مقتل قائد داعش المحلّي. وفي الآونة الأخيرة، اشتدّت حدّة الإشتباكات بين الجيش السوري الحُر وداعش عندما حاولت الأخيرة الإستيلاء على طرق الإمداد التي تخترق المعابر الحدودية الرئيسية بين سوريا وتركيا.

لقد أثارت الثورة السورية بعض الإنشقاقات الحكومية الرفيعة المستوى، إلاّ أنه لم تُغيّر أيّاً من الوحدات العسكرية الجهة التي تقف إلى جانبها – نادراً ما تفعل ذلك ما لم تعتبر أن إنهيار النظام قد بات وشيكاً. ولدى الثُّوّار أسلحةٌ صغيرةٌ وافرةٌ. لديهم أيضاً بعض الصواريخ المضادة للدبابات والمضادة للطائرات، لكنهم يفتقرون إلى الترسانة التي يحتاجونها لتحدّي التسلّح المتفوّق لقوات الحكومة. وبمساعدة من الخارج، تمكّن الثُّوّار من تحقيق إنتصارات تكتيكية، إلاّ أنهم كانوا، حتى الآن، غير قادرين على نسجها معاً لتغيير الوضع من الناحية الإستراتيجية.

تنظيمات التمرّد الأخرى. تضمّ الجبهة الإسلامية (الجبهة الإسلامية السورية سابقاً) عدداً من التنظيمات، بما في ذلك جيش الإسلام، أحرار الشام، صقور الشام، لواء التوحيد، لواء الحق، أنصار الشام، وألوية وكتائب أخرى مختلفة أصغر حجماً. هذه الجماعات يمكن وصفها بأنها سلفيّة، وهذا يعني أن هؤلاء يؤمنون بالتفسير الحرفي للقرآن، ويرفضون المفاهيم السياسية الغربية التي تضع الإنسان فوق الله (على سبيل المثال، الديمقراطية)، ويدعمون الفرض الصارم للشريعة الإسلامية.

إنهم يعتبرون أن الإطاحة بالأسد تؤدي إلى دولة إسلامية. وليس كل السلفييّن يتقبّلون مفهوم جهاد العنف، على الرغم من أن المُتمرّدين السلفييّن في سوريا هم بحُكم التعريف ملتزمون بالإطاحة العنيفة بنظام الأسد، ولكن لا يمكن تسمية الجميع بالجهاديّين – وهذا يعني أنهم لا يتبنّون جميعاً فكر القاعدة المُتمثّل في الجهاد العالمي الأبدي ضدّ الكُفّار. يقوم أعضاء الجبهة الإسلامية بتمييز أنفسهم عن جماعات مُرتبطة بتنظيم القاعدة في سوريا، حيث يأمل هؤلاء بأن يُطمئنوا المجتمع الدولي، لكنهم في بعض الأحيان يتعاونون مع الجهاديّين، وكذلك مع الجيش السوري الحُر. لذا يصف بعضهم الجبهة الإسلامية بأنها مُعتدلة، ولكن هذا المصطلح نسبي. فمن بين الجماعات التي تُشكّل الجبهة، يمكن للمرء أن يجد طيفاً من السلفية الجهادية في معتقدات الجهاديّين. هذا الأمر يُميزهم عن الجيش السوري الحُر، ولكن حتى الجيش السوري الحُر ليس علمانياً بحتاً.

يدّعي البعض أن الجبهة الإسلامية تضمّ 100,000 من المتشدّدين. هذا يبدو رقماً مبالغاً فيه[10] – التقديرات الأكثر واقعية هي 45,000[11]. في كل الأحوال، يتمّ سحب مقاتلي التمرّد إلى الإسلاميّين، الذين لديهم المال والسلاح للقتال. كما يذهب المقاتلون الأجانب أيضاً، وفي المقام الأول، إلى مجموعات الإسلاميّين الواعدة بالقتال.

الأهمية المُتزايدة للجهاديّين. سوف يُهيمن الإسلاميون المتشدّدون، وبنحو مُتزايد، على التمرّد، ممّا يُعزز بروباغندا الحكومة السورية بأن المعركة هي بينها وبين الأرضية الجهادية السيّئة. وتُمثل سوريا أفضل فرصة للقاعدة لإثبات وجودها المستمر وإنشاء قاعدة جديدة لها في الشرق الأوسط. وكُلّما طال أمد القتال، كُلّما ازداد الخوف من أن تكون العناصر التي تستلهم نهج القاعدة قادرة على توحيد موقفها، ما يمنحها معقلاً جديداً لمواصلة العمليات الإرهابية ضد الغرب.

أمّا في الوقت الراهن، فيبدو أن الجهاديّين قد أصبحوا الجهة المتطوّرة من التمرّد. ويعزو البعض ذلك إلى الدعم الخارجي الذي يتلقّونه، على نقيض الدعم الحذر الذي يتلقاه الثُّوّار الأكثر علمانية من الغرب. ويعزو آخرون شراسة الجهاديّين إلى الحماسة المذهبية، في حين يؤكد آخرون على أن وسائل الإعلام الغربية، التّواقة إلى الروايات البشعة عن الفظائع الجهادية لكن العاجزة عن التحقّق من الوقائع ، تُبالغ بأهمية هؤلاء. فقد تتظاهر بعض الجماعات المُتمرّدة

بأنها جهاديّة وذلك، وببساطة، لجذب الرعاة الخليجيّين الأثرياء، الذين هم المصادر الرئيسية لتمويل الجماعات الجهادية[12]. من الصعب صنع حُكمٍ شاملٍ هنا.

هناك مجموعتان ترتبطان بتنظيم القاعدة – جبهة النُصرة والدولة الإسلامية في بلاد الشام. لقد بدأت جبهة النُصرة تنظيم نفسها في عام 2011. ومن خلال ضراوتها في القتال في ساحة المعركة والتفجيرات الإنتحارية المُثيرة، استقطبت هذه المجموعة المجنّدين والدعم المالي لتصبح ما يعتبره كثيرون إحدى قوات التمرّد الأكثر فعالية، مع وجود ما يقارب ال5,000 إلى ال6,000 مقاتل في صفوفها. وقد وُصفت من قِبل الولايات المتحدة بأنها جماعة إرهابية.

أما الدولة الإسلامية فهي أحدث تجسيدٍ لتنظيم القاعدة في العراق، الذي ظهر بعد الغزو الأميركي. ومنذ الإنسحاب الأميركي، واصلت المجموعة حملتها الإرهابية هناك في الوقت الذي وسّعت فيه منطقة عملياتها لتشمل سوريا. ويبدو أيضاً أن اسم الدولة الإسلامية في بلاد الشام (ISIL) هو نفسه الدولة الإسلامية في العراق وسوريا (ISIS). فالشام يعني ببساطة "الشمال"، التي تعكس وجهة نظر الفاتحين المسلمين الأصليّين الذين جاؤوا من شِبه الجزيرة العربية في الجنوب. وهذا يتّفق مع الممارسة المُعتادة لتنظيم القاعدة بتسمية الجبهات وِفقاً للجغرافيا، وليس الدول المُعاصِرة. إلاّ أنّ الشام تُشير أيضاً إلى منطقة سوريا الكبرى، التي تشمل الدول الحالية: سوريا، لبنان، الأردن، وفلسطين، وبطبيعة الحال، إسرائيل. إنها تُعبّر عن الطموح.

في نيسان عام 2013، أعلن قائد الدولة الإسلامية دمج تنظيمه مع جبهة النُصرة، بدعوى أن هذه الأخيرة قد تم إنشاؤها وتمويلها من قِبل داعش. هذا التأكيد تمّ رفضه على وجه السرعة من قِبل زعيم جبهة النُصرة، الذي في حينه كان يُعيد تأكيد ولائه من جديد لأيمن الظواهري، القائد العام لتنظيم القاعدة، فإنه حافظ على استقلال مجموعته عن داعش. وقد حكم الظواهري لصالح النُصرة، حاصراً امتياز دولة العراق والشام بالعراق. بدوره، رفض قائد دولة العراق والشام حكم الظواهري، واستمرّ الخلاف بين التنظيمين المنتميين للقاعدة في سوريا، مع تبديل المقاتلين من كلا الفريقين لمواقعهم من جانب لآخر في الوقت الذي تتخّذ فيه شخصيات جهادية أخرى في المنطقة أيضاً موقفاً من النقاش الحاصل[13].

تُوظّف كلّ من الدولة الإسلامية وجبهة النصرة الإرهاب، إلاّ أن النزاع بين المجموعتين قد يعكس الخلافات حول التكتيكات، مع تمثيل داعش للمتشدّدين الذين يفضّلون العنف من دون ضوابط وتصميم جبهة النُصرة على عدم التفريط بالدعم الشعبي. هذا يُشير إلى نزاع سابق بين الظواهري، الذي كان آنذاك الرجل الثاني في تنظيم القاعدة، وبين أبو مصعب الزرقاوي، الذي كان في ذلك الوقت زعيم تنظيم القاعدة في العراق، والذي أدّى ذبحهم لإخوانهم المسلمين إلى إثارة ردّ فعل مضاد على تنظيم القاعدة. رفض الزرقاوي سلطة الظواهري، تماماً كما يفعل زعيم داعش اليوم. إن تأييد داعش للعنف غير المنضبط يعطيها ميّزة لجذب المقاتلين الأجانب.

في الوقت نفسه، يظنّ بعض المراقبين بأن داعش وجبهة النصرة، على حدّ سواء، هما أكثر اهتماماً بإقامة سيطرتهما على أراضٍ في شرق سوريا من اهتمامهم بإسقاط الأسد. إذ يتصرّف كلاهما كمقاتلي رجال عصابات كلاسيكيين، ويُقال بأنهم يديرون محاكم ومدارس ويقدّمون المساعدات الإجتماعية للناس في المناطق الواقعة تحت سيطرتهم – وهذه هي الحالة الجنينية للحُكم. التلقين هو جزء من البرنامج، إلاّ أن العمل المدني أيضا يمكن أن يكون ردّاً على تكتيكات الحكومة للتدمير المتعمّد للإمدادات الغذائية، والخدمات الطبية، وجميع الأنشطة الاقتصادية في المناطق التي يسيطر عليها المُتمرّدون.

هذه أرضية جديدة لتنظيم القاعدة، والذي غالباً ما أدّى تعصبه إلى تنفير السكان الذين قبعوا تحت حُكمه المؤقّت. إن قيادة القاعدة المركزية وفروعها في سورية قد تتقاسم فيما بينها هدفاً طويل الأجل يتعلّق بتنفيذ الشريعة في جميع أنحاء العالم، لكن هناك توتّر متأصّل بين الطليعة الثورية ذات الإيحاء الديني التي ترى نفسها مسؤولة فقط أمام الله وبين تمرّد محلي يجب عليه أن يحاول الإحتفاظ بولاء السكان المحليّين.

من الممكن أن تتّبع جبهات تنظيم القاعدة المستقبلية طريق جماعات مثل حماس وحزب الله، لتصبح بذلك مؤسسات سياسية أكثر تعقيداً، على عكس كونها منظمات إرهابية بحتة. وفي بعض النواحي، هذا الأمر يمكن أن يجعل مسألة مواجهتها أكثر صعوبة، لكنه يفتح أيضاً إمكانيات جديدة. هل سيفطم الجهاديّين المحليّين أنفسهم عن الحملة الإرهابية العالمية لتنظيم القاعدة؟ التاريخ يُشير إلى خلاف ذلك.

لم يبقَ أي تنظيم من التنظيمات التابعة للقاعدة محلي الطابع. إذ تُطالب القيادة المركزية للمنظمة التقيّد بخطّها الإستراتيجي. وتجتذب التنظيمات التابعة للقاعدة المقاتلين الأجانب الذين لا يهتمّون كثيراً بما بعد القتال. ويُهيمن المتشدّدون. وتتسبّب الهجمات على القيادة والإنتكاسات في الميدان بسبب التدخّل العسكري الأجنبي بالإستفزاز للإنتقام.

لم يبقَ أي تنظيم من التنظيمات التابعة للقاعدة محلي الطابع.

ما هي أهمية الجهاديّين بالنسبة للتمرّد؟ في 4 أيلول 2013، قدّم وزير الخارجية الأميركي جون كيري شهادته أمام الكونغرس والتي قال فيها أن الجهاديّين لا يهيمنون على قوات المُتمرّدين في سوريا وبأنهم يمثّلون ما لا يزيد عن 15 إلى 25 في المئة من المقاتلين المُتمرّدين المُقدّر عددهم بـ 100,000 مقاتل[14]. ومنذ ذلك الحين يتمّ الطعن بهذا الزعم، كما كان يحصل في ذلك الوقت. فقد اختلف البعض معه حول هذه الأرقام، في حين تساءل آخرون عن الفرق الذي تشكّله ما دام المتطرفون الإسلاميّون لا زالوا حتى الآن أشرس العناصر المُتمرّدة وأفضلها تنظيماً.

تُشير تقديرات دراسة لمؤسسة Jane صدرت في أيلول 2013 إلى أن هناك 10,000 مقاتل جهادي، بما في ذلك مقاتلين أجانب، في مجموعات على صلة بتنظيم القاعدة، إلى جانب 30,000 إلى 35,000 من الإسلاميّين المُتشدّدين الآخرين الذين يقاسمون الجهاديّين بعضاً من الأيديولوجية التي يعتنقونها. إلاّ أنهم، على الأقلّ حتى الآن، يركزون جلّ اهتمامهم على الحرب الأهلية في سوريا أكثر من الأجندة العالمية لتنظيم القاعدة. هذا من شأنه أن يضع ما يقرب من نصف قوات التمرّد في معسكر السلفية المتشدّدة / الجهادية[15]. ووفقاً لدراسة Jane، تشمل قوات المُتمرّدين الإسلاميين أيضاً 30,000 من الإسلاميين الأكثر اعتدالاً، ما يترك 25,000 مقاتل مرتبطين بمجموعات أكثر علمانية أو قومية بحتة.

إن التناقض قد يُستنتج، وببساطة، من الإختلافات بين وزارة الخارجية الأمريكية وJane حول من هو الجهادي، ممّا يضيف طبقة أخرى من التعقيد إلى فهمنا لنظام التمرّد في المعركة.

إن معرفتنا للنقاط الدقيقة لمُعتقدات المُتمرّدين مُستمدّة من بياناتهم الخاصة الموجودة في المواقع على شبكة الإنترنت أو المنقولة من منشوراتهم على وسائل التواصل الإجتماعي. إن لغة تصريحاتهم وصور مجموعاتهم مع الأعلام السوداء والقرائن البصرية الأخرى تُخبرنا أين نضعهم في الطيف الديني. إن تفسير هذه الكتابات على الجدران، وكلها علنية ، قد أصبحت حقل استخباراتي جديد مُذهل.

الأكراد. على الرغم من أن لدى الأكراد، الذين يشكّلون ما يقارب ال 9 في المئة من سكان سوريا، شكاوى قديمة ضد حكومة الأسد، فقد كانوا بطيئين في انضمامهم إلى المقاومة. إذ لم تبدأ الإشتباكات المسلّحة بين القوات الحكومية والمقاتلين الأكراد حتى حزيران 2012. وقد أدّت هذه الإشتباكات إلى انسحاب الوحدات الحكومية من بعض مناطق الأكراد، ولكن القتال استمرّ حول المناطق الكُردية الأخرى. ومنذ ذلك الحين، ووحدات حماية الشعب الكُردي (YPG) تقاتل دفاعاً عن أراضيها ضد القوات الحكومية، ومُتمرّدي الجيش السوري الحُر، إضافةً إلى المُتشدّدين الجهاديّين، وعلى نحو متزايد، ضد الذين أعلنوا بأن الأكراد خونة للجهاديين. في كل الأحوال، هناك أيضاً المُكوّن الكُردي في الجبهة الإسلامية.

يعتبر الأكراد أنفسهم على الحياد في الحرب الأهلية. هناك بعض المقاتلين الأكراد في الجيش السوري الحُر، ولكن الأهداف الرئيسية للأكراد هي الدفاع عن النفس، الحكم الذاتي الحُر والخالي من التدخّل الخارجي سواء من جانب قوات الحكومة السورية أو الثُّوّار، وفي نهاية المطاف ربّما الإستقلال الكُردي. إن معاقل الأكراد في سوريا، الموجودة تحت ضغط مستمرّ من قوات الحكومة والجهاديّين الذين يستلهمون نهج القاعدة، يمكن أن تتّحد مع مناطق الحكم الذاتي الكُردية في العراق بغرض الدفاع المشترك (رغم أنه من غير الواضح إن كان هناك تعايُش بين أكراد العراق وسوريا – إذ كانت الوحدة الكُردية أمراً بعيد المنال دوماً). وهذا بدوره، يمكن أن يحيي فكرة كردستان، دولة كُردية مستقلّة، الأمر الذي تُعارضه الحكومة التركية بشدّة، لأن من شأنه أن يشجّع الإنفصاليّين الأكراد في تركيا.

الدعم الأجنبي للثُّوّار. تُوفّر المملكة العربية السعودية وقطر، حالياً، الأموال لشراء الأسلحة للمُتمرّدين، لكن يُقال بأن وحدات الجيش السوري الحُر تظل في حالة عوز إلى المال والسلاح. وكما أشرنا أعلاه، فإن الداعمين المحافظين من القطاع الخاص في الخليج وبلاد الشام، وخارج المنطقة هم المصدر الرئيسي لتمويل الجماعات الجهاديّة. وتستفيد بعض الجماعات المُتمرّدة أيضاً من الأموال التي تمّ جمعها في مجتمعات الشتات. وهناك تقارير عن عمليات تمويل تتمّ من خلال الأنشطة الإجرامية.

عمدت الولايات المتحدة، وبحذر شديد، إلى توفير الدعم للثُّوّار. فقد أذنت واشنطن بتقديم مساعدات غير قاتلة وإنسانية في وقت مُبكر، ولكنها انتقلت إلى توفير الأسلحة ولكن ببُطء وبسرّية بالغة. ويعكس هذا الحذر الغُموض بشأن تطوّر الصراع ومخاوف من إمكانية وقوع الأسلحة المتطوّرة في أيدي الجهاديّين الذين سوف يستخدمونها في هجمات إرهابية موجّهة ضد الغرب. وفي شهر حزيران عام 2013، أعلن البيت الأبيض بأنه قد قرّر أنه إذا ما استخدمت قوات الحكومة السورية الأسلحة الكيميائية بكميات صغيرة، فإن الولايات المتحدة ستبدأ بتقديم "الدعم العسكري" لعناصر مُعتدلة في أوساط قوى المعارضة السورية. ولأن هذا كان نتيجة مخرج ذكي يُجيز تقديم المساعدات السرّية، فإنه لم يتم الإعلان عن تفاصيل ما ستتضمّنه هذه المساعدات. وكان هناك اعتقاد بأن المساعدات تشمل الإستخبارات ودعم الإتصالات، وكذلك الأسلحة الخفيفة والذخائر. وقيل، على الأقل في البداية، أن المساعدات الأميركية لن تشمل الصواريخ المضادة للدبابات والمضادة للطائرات، على الرغم من أنه يمكن أن تأتي الأسلحة المضادة للدبابات لاحقاً[16]. وقد اصطدم هذا الاحتمال بمعارضة

الكونغرس.

في أعقاب تقرير الأمم المتحدة الذي أكّد على استخدام غاز السارين في هجوم 21 آب والذي تسبّب بخسائر فادحة في صفوف المدنيّين، تجنّبت إدارة أوباما أحكام قانون مراقبة صادرات الأسلحة، والقانون الإتحادي الذي يحظر توريد الأسلحة والمال للإرهابيين، وفتحت الباب لتوريد السلاح للمعارضة السورية[17]. وعلى الرغم من أن هذا يخلق طريقاً لمساعدة المُتمرّدين علناً، فإن هناك تردّداً دائماً في واشنطن ومعظم عواصم حلف شمال الأطلسي (الناتو) في توفير المزيد من الأسلحة المتطوّرة، وذلك بسبب الدور المتنامي للعناصر الجهادية.

خلال فترة الإحتلال السوفيتي لأفغانستان، قامت الولايات المتحدة بتسليح قوات المقاومة المحلية بصواريخ مضادة للدبابات وصواريخ أرض – جو قابلة للحمل والتي ساهمت في نهاية المطاف بانسحاب القوات السوفيتية. لكن ذلك كان في الثمانينات. لقد أصبح الخوف من الإرهاب منذ ذلك الحين عاملاً رئيساً في كل خطط الحروب، وهناك قلق في أوساط الحكومات الغربية من إمكانية استخدام هذه الأسلحة ضدّهم من قِبل عناصر جهادية موالية للقاعدة في هجمات إرهابية في المستقبل. فعقب استيلاء المُتمرّدين الإسلاميين على مستودعات الجيش السوري الحُر حيث كان يجري تخزين المواد الأميركية المقدّمة، أعلنت الولايات المتحدة في 11 كانون الأول من عام 2013 عن تعليق المساعدات غير القاتلة لحركة التمرّد مؤقتاً.

مسار أحداث لا مفرّ منه

إن الحرب الأهلية السورية في مأزق. لا يمكن لفئة أن تهزِم الفئات الأخرى، لكن هذا لن يفتح الطريق أمام التوصّل إلى تسوية سياسية. فحتى سقوط الأسد لن ينهي الصراع. إذ يمكن لجميع العناصر الإستمرار في القتال، ومن المُرجّح أن يفعلوا ذلك لتحقيق غاياتهم الخاصة. فما بدأ على شكل تمرّدٍ ضدّ الأسد قد تحوّل، وبشكلٍ مدروس، إلى حرب طائفية وُجودية. وليس هناك من فئة تعتقد أن بإمكانها البقاء في سوريا بقيادة أعدائها، لذلك فإن سوريا نفسها لا يمكنها البقاء.

عقيدة مكافحة التمرّد السورية. تعتمد استراتيجية مكافحة التمرّد في سوريا على تجربة سابقة لنظام الأسد في قمع تمرّد الإخوان المسلمين 1977–1982، ومن جرّاء العقيدة السوفياتية / الروسية التي وُضعت خلال الإحتلال السوفيتي لأفغانستان وحربيْ روسيا في الشيشان[18].

إنه نهج لا يرحم ويختلف كثيراً عن عقيدة مكافحة التمرّد الغربية، التي تركّز على حماية السكان وتجنّب سقوط ضحايا من المدنيّين والأضرار الجانبية المُصاحبة إلى جانب الجهود المبذولة لكسب قلوب وعقول الناس. وتعكس هذه العقيدة حقيقة هي عدم النظر إلى حركات التمرّد في البلاد البعيدة على أنها تهديدات وجودية للحكومات الغربية. فضلاً عن ذلك، تخرج هذه الرسائل من جهات مثقلة بالذنب ناشئة عن ماضٍ استعماري أو تساؤلات حول شرعيتها.

أما تاريخ سوريا فهو مختلف، وكذلك الدروس التي يستمدّها النظام من تلك التجربة. فانتفاضة 1982 في حماة بلغت ذروتها خلال خمس سنوات من حرب العصابات والإغتيالات الإرهابية. إذ عندما استولى المُتمرّدون الإسلاميون على مدينة حماة في المواجهة الحاسمة النهائية مع حكومة حافظ الأسد في عام 1982 وسيطروا عليها، طوّقت القوات الحكومية المدينة وقصفتها بالمدفعية قبل أن ترسل مغاوير الجيش وقوات حزب البعث غير النظامية للتخلّص من المقاومة. استمرّت العملية العسكرية ثلاث أسابيع، تمّ فيها هدم أحياء بأكملها وقتل الآلاف من المدنيّين[19].

على الرغم من الشّجب والإدانة الواسعة من قِبل المجتمع الدولي، فقد نجح الردّ السوري الوحشي في إطفاء أي مقاومة أوسع لدمشق، ومنع نوع الفوضى الذي تشهده بالضبط البلاد اليوم. إن القضية الآن هي بقاء النظام. فإذا لم يكن بالإمكان إنقاذ سوريا، فإن أولئك الموالين للحكومة مُلتزمون بحماية أنفسهم ضدّ الإبادة التي يعتقدون بأنها ستكون مصيرهم إذا ما انتصر الثُّوّار.

تتّسم حملة سوريا ضدّ التمرّد بالدفاع الثابت عن المراكز السكّانية الرئيسة، والجيوب الطائفية، والقواعد العسكرية، وخطوط الإتصال الإستراتيجية. وقد تطلّب هذا الأمر الإنسحاب من أجزاء كبيرة من البلاد. فالعمليات الهجومية في المناطق الرئيسة التي يجب أن تمسك بها الحكومة تحمل ميّزة القصف الجوي والمدفعي المكثّف تليها عمليات تطهير تقوم بها قوات المغاوير أو الميليشيات. هذا الأمر مُدمّر وعشوائي.

تُستخدم القوة الجوية والمدفعية أيضاً لقصف مناطق لا تقع تحت سيطرة الحكومة، وتستهدف عمداً المحاصيل الزراعية، والمخابز (مصدر الغذاء الحساس للكثيرين)، والمستشفيات – تدمير

لا يمكن لفئة أن تهزِم الفئات الأخرى، لكن هذا لن يفتح الطريق أمام التوصّل إلى تسوية سياسية. فحتى سقوط الأسد لن ينهي الصراع.

التجارة والبُنية التحتية الداعمة للحياة. أما الهدف فهو إجبار الناس على الخروج من مناطق المُتمرّدين، وبالتالي حرمان المُتمرّدين من الدعم الشعبي. هذه التكتيكات تُفسّر الأعداد الكبيرة للاجئين.

تُستكمل العمليات العسكرية ببرامج البروباغندا المُكثفة التي تُصور أعداء النظام على أنهم إرهابيّون، وبجهود التثقيف السياسي الرامية إلى ضمان استمرار الولاء للنظام. ومن المُرجّح أن تستغلّ هذه البرامج، وعلى نحو مُتزايد، الإنقسام الطائفي بدلاً من القضايا السياسية – التي لن تكون حول شرعية الأسد لكنها ستحذّر من التهديد السُّنيّ للوجود العلوي والمسيحي. (المُتمرّدون الجهاديّون مُنخرطون في جهود التلقين المماثلة في المدن التي يُسيطرون عليها.)

نقاط ضعف الثُّوّار. لا يمكن للثُّوّار القيام بعملية انتقال من مقاتلين في حرب عصابات إلى قوة على الأرض قادرة على تحدّي قوات الحكومة في ساحة المعركة. فإذا ما استمرّ القتال، فإنهم قد يفعلون ذلك، إنما في المستقبل البعيد، لكنهم يعانون الآن من عدد من أوجه القصور ونقاط الضعف.

ليس هناك قيادة مركزية. بإمكان القائد العسكري الإسمي للتمرّد محاولة تنسيق الإجراءات فقط بين تلك الوحدات التي تعترف شكليّاً بسلطته.

يعمل الثُّوّار محليّاً، يتعاونون فيما بينهم في بعض الأحيان، لكنهم يفتقرون إلى التحرُّك واللوجستية لنشرها بعيداً عن قواعدهم الداخلية مهما كانت المُدّة الزمنية. إن أي تمركُز لقوات المُتمرّدين سيكون عُرضةً لسلاح المدرّعات والقوة الجوية الساحقة للحكومة. إن استمرار تدفّق الأسلحة الصغيرة والإمدادات المحدودة من أسلحة المُشاة الأكثر تطوّراً لن يغيّر الوضع إلاّ بشكل هامشي.

يمكن للتدخل العسكري الخارجي (خلق مجالات جوية، فرض منطقة حظر طيران) أن يحدّ من الميّزة التي توفرها القوة الجوية للحكومة، إلاّ أن الحدّ من ميّزة قوات الحكومة المتمثّلة في سلاح المدرّعات والمدفعية أمر يتطلّب حملة جوية أكثر طموحاً.

يمكن للثُّوّار الإستيلاء على بلدات صغيرة والإمساك بها، وقد أظهروا أن بإمكانهم التسلّل إلى محيط المدن الكبرى، ممّا يضطرّ الحكومة إلى استخدام الأسلحة الثقيلة والقوة الجوية لإخراجهم، الأمر الذي يتسبّب في سقوط عدد كبير من الضحايا من المدنييّن وحصول أضرار ملازمة. يُمكنهم القيام بهجمات إرهابية مُذهلة لجذب الانتباه وإظهار أن الحكومة لا يمكنها ضمان الأمن، لكن من غير المُرجّح أن تُسقط هذه الإجراءات بحدّ ذاتها النظام. يمكن للمُتمرّدين أن يأملوا فقط بخلق وضع يتعذّر الدفاع عنه ويؤدي لإحداث تغيير للنظام من الداخل أو إثارة تدخّل من الخارج.

انهيار الدولة. أصبحت الحرب الأهلية، وبشكلٍ مُتزايد، عبارة عن تنافُسٍ مذهبيٍ بين أنصار المُتمرّدين السُّنّة وأنصار العلوييّن

على الرغم من أن الحكومة الوطنية ستكون موجودة على الورق، فإن المؤسسات الوطنية، بما في ذلك القوات المسلّحة، سوف تنخفض وتضمحل، ليحلّ محلّها خليط مُتزايد، من الكيانات المحلية المستقلّة.

(إلى جانب المسيحييّن والشّيعة)، في حين يدافع الأكراد والدروز عن أراضيهم. إن التوتّرات الطائفية في سوريا ليست جديدة بل لها جذور عميقة في تاريخ سوريا الإستعماري كما كانت موجودة قبل الإستعمار. فأربعون عاماً من الحُكم السلطوي في ظلّ الأسد جعلتهم موجودين تحت الفحص في الوقت الذي كان يتمّ فيه زيادة اعتماد النظام نفسه على قاعدته العلوية، وبالتالي إبعاد قسم كبير من الأكثرية السُّنيّة في سوريا.

على الرغم من أن الحكومة الوطنية ستكون موجودة على الورق، فإن المؤسسات الوطنية، بما في ذلك القوات المسلّحة، سوف تنخفض وتضمحل، ليحلّ محلّها خليطٌ مُتزايدٌ، من الكيانات المحلية المستقلّة، بعضها موالية للحكومة المركزية، وبعضها معارضة لها.

أصبح الجيش الوطني عبارة عن حرس رئاسي علوي يمتلك سلاح مدرعات ومدفعية وقوة جوية. وتمّ الإحتفاظ بأفراد الجيش السُّنّة في حاميات حيث لا يتمّ نشرهم إلاّ مع وحدات علوية موثوقة تكون إلى جانبهم.

لم يعد بإمكان الحكومة تجنيد الجنود في نصف البلاد – غالباً في المناطق السُّنيّة – التي لم تعد تحت سيطرتها. يمكن أن يستمر التجنيد في المناطق العلوية، التي لديها ما يكفي من القوى البشرية للحفاظ على جيش سوري كبير. كما تستفيد الحكومة أيضاً من مقاتلي حزب الله وعدد غير معروف من المتطوّعين الشّيعة الأجانب. لا تُسيطر حكومة الأسد سيطرة مباشرة على حزب الله. ولا يُعرف مدى سيطرتها على المتطوّعين الأجانب الآخرين. وقد تفقد الحكومة الهيمنة على الميليشيّات الخاصة بها.

وبينما يتمركز اللاجئون السوريون في جيوب طائفية، ممّا يُضعف المشاعر الوطنية والمؤسسات أكثر وأكثر، سيصبح القتال أكثر هجوماً وقساوةً وأقلّ مرونةً. وسوف تصبح حرب من عدّة محاور، هي أكثر عن حماية السكان، على الرغم من أن القوة الجويّة والمدفعية الحكومية ستظلّ قادرة على فرض حياة لا تُطاق في مناطق خارج سيطرتها. ستقوم ميليشيات الحكومة بمعظم المعارك على الأرض، وستنفّذ التطهير العرقي في منطقة سيطرتهم. ومع ذلك، فإن هذه الميليشيات لن تكون قادرة على

ليس من المُرجّح أن يُثير استمرار المذابح ببطئ... التدخّل العسكري. . . . تم احتواء الغضب العالمي من خلال كثرة الصور عن العرب والمسلمين يقتلون بعضهم بعضاً.

اختراق عميق أو الحفاظ على السيطرة على المعاقل السُّنيّة.

نقاط التحوّل المحتملة لقواعد اللعبة

بالإضافة إلى الديناميكيات الداخلية والخارجية للصراع، هناك عدد من العوامل والمتغيّرات التي تزيد من تعقيد أي تنبؤ بشأن المسار المستقبلي، أو احتمال الوصول إلى حلّ فعلي سواء على المدى القصير أو الطويل.

التدخّل العسكري الأجنبي. قد يُغير تدخّل الولايات المتحدة عسكرياً بمشاركة مُحتملة لقوات حلف شمال الأطلسي، (أو على الأقل بمشاركة من المملكة المتحدة وفرنسا)، مجرى الأحداث لصالح المُتمرّدين. ولكن ديناميكيات الدعم الأجنبي للأسد، بالإضافة للإنشقاق، وفي بعض الحالات، الصدام المباشر بين قوات المُتمرّدين، تُشير إلى أن احتمالات إنهاء القتال في سوريا هي شبه معدومة.

وعلاوةً على ذلك، يبدو من غير المحتمل أن تكون القوى الخارجية على استعداد لتقديم الإستثمارات اللاّزمة للإطاحة بالأسد بالقوة العسكرية. وعلى الأرجح، فإن أي حملة عسكرية أجنبية قد تُركز على الحدّ من القوة الجوية للأسد، بما في ذلك طائرات الهليكوبتر، وعلى تدمير وحدات المدفعية الحكومية السورية. قد يُحقق ذلك توازناً في ساحة المعركة إلى حدّ ما ويمكن أيضاً أن يُؤكد عزم الغرب (مع الدعم العربي) على وُجوب رحيل الأسد. وفي المقابل، قد يُضعف ذلك من معنويات أولئك المُحيطين بالأسد ويزيد من فرص الإطاحة به من داخل معسكره، إلاّ أنه لا يمكن التنبّؤ بذلك.

وقد دافع البعض في الولايات المتحدة الأمريكية عن هذا النهج، لا سيّما السيناتور جون ماكين، وآخرون في أوروبا، كفرانسوا هايسبورغ، المستشار السابق في وزارة الدفاع الفرنسية ورئيس المعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية ومقرّها لندن، فقد قال أنه لن يكون ذلك "إعلاناً للحرب. . . ولن يدخل التحالف الدولي إلى سوريا لإسقاط الأسد". بل ستكون "عملية واحدة، في يوم واحد أو يومين، ثمّ ينتهي الأمر"[20]. هناك شكّ من أن تكون العملية العسكرية سهلة لهذه الدرجة.

وممّا لا شك فيه أن يناقش المؤرّخون في المستقبل حول ما إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية ربما قد فوتت فرصة الحفاظ على هيمنة العلمانيين الديمقراطيين ولم تسارع في سقوط الأسد وسيناقشون فيما لو أنها قد أخذت موقفاً أقلّ خجلاً ومن خلال توفير الأسلحة المناسبة ومساعدة المُتمرّدين بطرق أخرى في وقت سابق من الصراع، وقبل أن يكتسب الجهاديون قوةً. لكن حركة التمرّد، أخذت وقتاً طويلاً لتنظيم نفسها، وظهر المتطرفون الاسلاميون بسرعة على الساحة. فمنذ البداية شملت الحركة أيضاً بعض الإسلاميين المُتشدّدين. وعلاوةً على ذلك، لن يُنهي حتى انتصار فوري للمُتمرّدين، بالضرورة، المقاومة المسلّحة من قِبل العلويّين المتعصّبين والمسيحيّين اليائسين. إن مساعدة المُتمردين، حتى وإن نجحت في إزاحة الأسد آنذاك أو في المستقبل، لن تنهي الصراع ولكن من المُرجّح أن تتحوّل إلى بعثات لمكافحة التمرّد ومكافحة الإرهاب على المدى الطويل.

بالإضافة إلى ذلك، هناك عدد من العوامل والمتغيّرات المجهولة التي قد تعيق أي مشاركة أمريكية ناجحة. فهذا الصراع يتميّز بالأحداث السريعة والتيارات المُعقّدة، والأرقام غير المؤكّدة، والولاءات المائعة. إن قُدرة الجهات الخارجية الفاعلة لفهم التطوّرات، محدودة جدّاً، ناهيك عن التأثير على تلك التطوّرات. حتى وإن ركّز العالم على سوريا، مع مراقبة الأمم المتحدة، وأقمارنا الصناعية، والأقمار الصناعية الروسية والإسرائيلية، فرغم كل هذا التركيز على بلد واحد صغير نسبيّاً، هناك الكثير الذي نجهله حول الوضع:

- لماذا تقرّر الحكومة ما تقرّره؟
- ما هو أساس استمرار الولاء للنظام بعيداً عن العداء الطائفي والخوف المُتزايد؟
- ما هي القوة الحقيقية للجهاديّين؟

يتطلّب التقييم المُنير معرفةً محليّةً مفصّلةً، ويمكن الحصول عليها فقط من خلال الوصول إلى البلد نفسه. ففي أفغانستان والعراق، كان لدى الولايات المتحدة الآلاف من الأشخاص على الأرض الذين كانوا يعطون ملاحظاتهم وهم مدعومون مباشرةً من شبكة أوسع من النشطاء المحليّين، ولولا وجود الأمركيين هناك لما رغبوا أو استطاعوا أن يقدّموا معلومات. لا وجود لهؤلاء الأفراد في سوريا.

وبالنظر إلى الوضع الديناميكي، فإن التقييمات لا تدوم طويلاً. فيمكن ترتيب معركة للمُتمرّدين ليوم واحد. ليس مستغرباً أن تكون توقّعات سابقة مبنيّة على أساس الخبرة الإقليمية والإفتراضات

القائمة على الوقائع خاطئة. فمنذ أقل من عامين، كان الإجماع على أن أيام الأسد باتت معدودة، ولا أحد توقّع له البقاء في السلطة طيلة هذا الوقت. ويبدو الآن أنه يكتسب المزيد من القوة، لكن هذا قد يتغيّر بسرعة. حتى أن المعنييّن مباشرةً لا يعرفون ما سيحدث بعد ذلك.

وأخيراً، يفيد التاريخ بأن التدخّلات العسكرية الأجنبية المحدودة لا تُطيح بالحكّام المستبدّين الراسخين. فقد شنّت الولايات المتحدة الأمريكية هجمات جوية محسوبة ضد ليبيا، وإيران، والعراق وصربيا والسودان وأفغانستان، وذلك ردّاً على الهجمات الإرهابية أو لإظهار العزم الأميركي، وفي بعض الأحيان بهدف تسريع تغيير النظام. ساعدت الحملة الجوية للناتو في إطاحة حاكم ليبيا في العام 2011، ولكن نادراً ما تؤدي الضربات المحددة ضد الأهداف العسكرية (الضربات الجراحية) إلى سقوط الأنظمة المحاصرة. فذلك يتطلّب استثماراً عسكرياً أكبر[21]. تستطيع الولايات المتحدة أن تحدّ من التفوق العسكري للأسد، إلاّ أن ذلك سيستغرق التزاماً عسكرياً هائلاً مع احتمال أن يدور قتال عنيف لتحقيق تغيير النظام في سوريا. حتى أن العديد من قوات المُتمرّدين يعارضون ذلك أنفسهم.

ليس من المُرجّح أن يُثير استمرار المذابح ببطئ، بحدّ ذاتها، التدخّل العسكري. تم احتواء الغضب العالمي من خلال كثرة الصور عن العرب والمسلمين يقتلون بعضهم بعضاً. فيجب أن يكون التدخّل العسكري واضحاً ومُثيراً أكثر من الهجوم الكيماوي الذي جرى في 21 آب. فإذا استولت الجماعات الجهادية أو حزب الله على أسلحة كيميائية، إذ قد يرغبون أيضاً في الحصول عليها، قد يؤدي ذلك إلى أزمة دولية أخرى تزيد من احتمال عمل عسكري أجنبي.

يزعم بعض المراقبين في الولايات المتحدة والخارج أنه إذا كان هناك حاجة وقضية عادلة للتدخّل الدولي، فهذا ما سيحصل. فذكريات الإبادة الجماعية في رواندا حتماً تؤثر على النقاش الدائر حالياً. ولكن تسامح المُجتمع الدولي مع فظاعة الصراع السوري غير واضح. أفرزت الصراعات الداخلية في الفترة الماضية كوارث إنسانية دون تدخّل أجنبي. فقد وقف العالم أمام الإبادة الجماعية في كامبوديا، حيث لقى ما يقدر بنحو 1.7 مليون شخص مصرعهم على مدى أربع سنوات. وفي رواندا، قُتل أكثر من نصف مليون شخص في غضون مائة يوم. ومنذ عام 2003، قتلت الميليشيات الحكومية 300,000 شخص في دارفور.

إن النزاع السوري ليس قريباً من هذا المستوى من المذابح، بالرغم من أن استمرار القتال على مدى السنوات القليلة القادمة قد يدفع لمئات الآلاف من الوفيات. من الصعب إثارة تحرّك دولي ضدّ مذابح تُرتكب ببُطئ، ولكن إذا كان هناك حدث مُركّز أكثر – يُعادل مذبحة – إذا كانت تغطيته جيدة في وسائل الإعلام الدولية، قد يحثّ المجتمع الدولي لردّ فعل. ومع ذلك، لم يكن هناك أي ردّ من هذا القبيل في عام 1982. وفي سياق الحرب الأهلية الدائرة في سوريا، إذا افترضنا أن تكون هناك مجزرة مثل مجزرة حماة، خاصةً إذا تمّ تنفيذها من قِبل المليشيات بدلاً من الصواريخ، وبالتالي لن يكون عدد القتلى محدّداً على الفور أو واضحاً بصرياً، يمكن النظر إليها على أنها مأساة ولكن ليس سبباً لشنّ حرب. قد يبدو أن الأسد يريد تجنّب استفزازات واضحة كهذه. لكن مع أسلوبه في استخدام الأسلحة الكيميائية، يجب توخّي الحذر من تنبّؤاتٍ كهذه.

نظراً للتجربة الأمريكية في التدخّلات العسكرية الأخيرة، والتهديد المستمرّ من الإرهاب، وما تعلّمته عن الوقت الذي سيستغرق لإعداد تلك التدخّلات وضمان أنه عند إطاحة الأسد، ستستطيع الحكومة الجديدة الحفاظ على القانون والنظام، نظراً لكل ذلك، لم يكن هناك أي تأييد دولي أو حتى محليّ جدّي لتدخّل أمريكي واسع حتى وإن كان العمل العسكري قد بدا وشيكاً في آب وأيلول عام 2013.

أعاق الإرث المُرّ في العراق وأفغانستان – أطول حربين لأمريكا – التدخّل العسكري الغربي. ولكن في الوقت نفسه، إن وجود القاعدة في سوريا والتسليح العشوائي للمُتمرّدين هو أمر خطير. فتعليم وتدريب وتسليح المُتمرّدين "الجيّدين" سيتطلّب وقتاً طويلاً. ولن تكون لعملية التدريب آثار واضحة على أرض المعركة لسنوات وربّما لن تكفي لتغيير مسار الصراع.

إن الدروس الصعبة المستفادة من أفغانستان والعراق، بالإضافة إلى المتغيّرات الجديدة في سوريا، تزيد من تعقيد الأمور بالنسبة لدول مثل الولايات المتحدة الأمريكية التي أعلنت صراحةً رغبتها في إزالة الأسد دون تحديد استراتيجية مقنِعة لكيفية الوصول إلى ذلك أو ما قد يحلّ محلّ الأسد.

ويرى بعض النقّاد أن عُزوف الولايات المتحدة عن التدخّل يعني أن الولايات المتحدة لن تشنّ حروبها على الأرض، ممّا يجعل أمريكا أكثر احتقاراً في الخارج، ويؤدّي إلى تشجيع المزيد من عدم الإنخراط العام في الولايات المتحدة، والأهم من ذلك، فإنه يجعل أمريكا تبدو أقلّ التزاماً لحلفائها.

لا توجد الآن خيارات جيّدة وواضحة. فعلى المدى القريب،

على السياسات أن تفترض استمرار الصراع ومحاولة التخفيف من آثاره بدلاً من اتباع استراتيجيات تهدف إلى تغيير النتيجة.

على السياسات أن تفترض استمرار الصراع ومحاولة التخفيف من آثاره بدلاً من اتباع استراتيجيات تهدف إلى تغيير النتيجة. وفي الوقت الحالي، من المُرجّح أن تعتمد الولايات المتحدة الأمريكية على المساعدات السريّة، وقد تتمّ هذه المساعدات ربّما عن طريق عمليات خاصة تهدف إلى منع انهيار الثُّوّار والتأثير على مجرى الأحداث على المدى الطويل وليس تغييره على المدى القصير. كل ما يتمّ عمله في هذا الشأن يجب أن يكون مدعوماً سياسياً ومستداماً على المدى الطويل، بدون أن يؤدّي إلى التخلّي أو التصعيد إذا كانت النتائج الفورية أقلّ تواضعاً.

ستحتاج الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الجهات الخارجية المعارضة للأسد إلى التحلّي بالمرونة والإنتهازية. فمحاولات اتباع سياسة ثابتة قد تؤدّي في بعض الأحيان إلى مناورة عمليّة، أو حتى مكيافيلية.

هل لهذه البراغماتية أن تمتدّ إلى تدخّل غربي بالنيابة عن الأسد؟ الآن، قد يبدو تحوّل دراماتيكي كهذا في السياسة غير معقولٍ. (بيد أنه ليس من المستحيل بالنسبة للإسرائيليين، الذين يشعرون بالقلق إزّاء استمرار الفوضى، أو ما هو أسوأ، أي احتمال تنافس فصائل القاعدة على حدودها.) إن الحسابات في الغرب ستتغيّر إذا شنّت هجمات إرهابية رئيسية على الغرب من قِبل معقل جهادي في سوريا. وفي ظلّ هذه الظروف، فإن البلدان المتضرّرة، ودون أن تدعم نظام الأسد، قد تقرّر تنفيذ ضربات عسكرية ضد الجهاديّين.

قد يُجبر العالم الخارجي على التعامل مع سوريا المجزأة بدلاً من الدولة السورية. في الواقع، هذا ما تفعله إسرائيل الآن، إذ أنها تشنّ هجماتٍ على سوريا لمنع حزب الله من توسيع ترسانته الصاروخية.

إبطال الأسلحة الكيميائية السورية. قد لا نعرف أبداً ما هو المنطق وراء قرار الحكومة السورية استخدام الأسلحة الكيميائية. فقبل هجوم 21 آب كان في اعتقاد بعض المحلّلين الإستخباراتيين أن الأسد ربّما لن يلجأ لها وإنما سيحتفظ بها كورقة مساومة لتأمين هروبه إذا استدعى الأمر.

إلاّ أن الأسلحة الكيميائية هي أيضاً أداة إرهاب – أي أنها وسيلة لكسر معنويات الثُّوّار، وتؤدي إلى تخلّي مؤيّديهم عنهم، وتطهير أحياء بأكملها يقطنها منشقّين محتملين. فبعد هجوم 21 آب، فرّ الناس من المنطقة. وافق الأسد الآن على التخلّي عن سلاح الإرهاب هذا، على الرغم من أنه قد لا يزال يحاول إخفاء جزءاً من ترسانته الكيميائية، كما حاول أن يفعل صدام حسين في العراق. يجب بذل جُهد استخباراتي كبير لضمان عدم امتلاك سوريا أسلحة كيميائية.

يزعم البعض أن تجريد سوريا من الأسلحة الكيميائية هي الخطوة الأولى لإضعاف قُدرة الأسد على القيام بالقتل الجماعي للشعب السوري، وأنه الطريق الذي سيؤدّي إلى الإطاحة به لاحقاً، إلاّ أن هذا الجدال ضعيفٌ ولا يعدو أن يكون مجرّد أُمنية ليس إلّا، وذلك بسبب الحجج المُضادة والأحداث التي اندلعت منذ آب في العام 2013. كما تتجاهل هذه المزاعم التأثير الهائل لأسلحة الأسد غير التقليدية والتي لا جدال فيها.

ومن المنظور العملي والسياسي، قد يتخلّى الأسد عن ترسانته من الأسلحة الكيميائية دون أن يؤثّر ذلك على قُدرته مواصلة المعركة ضد الثُّوّار ولكن قد تكون وسيلة لإضعاف الثُّوّار وعزيمتهم، وبقائه وبقاء نظامه في نهاية المطاف.

ولا تمثّل الأسلحة الكيميائية إلاّ نسبةً ضئيلةً من عدد الوفيات التي وقعت خلال الحرب الأهلية وبلغت أكثر من 100,000 وفاة. فرغم حرمانه من سلاح الإرهاب الأساسي، لا يزال الأسد يمتلك قوةً جويةً ومدفعية، والتي غالباً ما نسمع قصفها لمعاقل الثُّوّار بشكلٍ شبه مستمر. أما الأسلحة الكيميائية، والتي هي حقاً أسلحة دمار شامل، فإن فعاليتها العسكرية محدودة، على الرغم من أن المسؤولين السوريين قد يجدون فيها وسيلةً لطرد الثُّوّار من المدن – فهذه أسهل من القتال من منزل إلى آخر، وأكثر فاعلية من تدمير المدينة بالمدافع والقصف الجوي.

أظنّ أنه كان يمكن للروس أن يوضحوا للأسد أن كثرة استخدام الأسلحة الكيميائية ستزيد الضغط لتحرّك دولي ضد النظام السوري والذي لن يستطيع حتى الروس أن يمنعوه. وبالتالي فإن أسلحته الكيميائية في الواقع ستصبح عديمةَ الفائدة. ولكن بالموافقة على التخلّي عنها، قد يبدو الأسد منطقياً ويحسّن فرص بقائه خلال مهمة التفكيك الطويلة والمُعقّدة. في بعض الأحيان، يجب أن تتخلّى السحليّة عن ذيلها لتبقى على قيد الحياة.

في بعض الأحيان، يجب أن تتخلّى السحليّة عن ذيلها لتبقى على قيد الحياة.

ستصبح عملية تأمين والقضاء على ترسانة الأسلحة الكيميائية السورية الآن عاملاً استراتيجياً رئيسياً في السلوك المستقبلي للحرب الأهلية. ويجب مشاركة المفتّشين الدوليّين والمقاولين المتخصّصين، الذين، بدورهم، سيتطلّبون بيئةً آمنةً يمكن القيام فيها بهذه المُهمّة الخطرة.

هذا يعني وقف القتال في المناطق التي تقع فيها حالياً المرافق الكيميائية والأسلحة. إن الأحجام المعنيّة كبيرة. ووفقاً لتقرير الإستخبارات الفرنسية الذي رُفعت عنه السرّية مؤخّراً، فإن سوريا تمتلك مئات الأطنان من غاز الخردل، ومئات الأطنان من غاز السارين، وعشرات الأطنان من غاز XV وهو العامل الكيميائي

المعروف أنه الأكثر دمويّة[22]. تقع الأسلحة الكيميائية المخزّنة في أيدي وحداتٍ من الجيش السوري، بالإضافة إلى المُنشآت حيث يتمّ تصنيع وتخزين أسلحة كيماوية. صرّح الجنرال مارتن ديمبسي، رئيس اللجنة المشتركة الأمريكية لرؤساء الأركان في نيسان أن الحكومة السورية تنقل الأسلحة الكيميائية من مواقع التخزين لشاحناتٍ[23]. ومن غير الواضح إذا كان هذا يتمّ حتى لا تسقط في أيدي الثُّوّار أو للتهرّب من الكشف عنها. لا بدّ من تحديد وفهرسة ونقل وتدمير الترسانة الكيميائية السورية برُمّتها في مرافق مُتخصّصة. إن القيام بذلك في وقت السلام أمرٌ صعبٌ، وعمله في خضم الحرب الجارية يكون محفوفاً بالمخاطر.

بعد أن اتّخذت الأمم المتحدة قراراً يدعو إلى القضاء على الأسلحة الكيميائية السورية، أقرّ وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف أن تنفيذ القرار يتطلّب ليس فقط التزام الحكومة السورية ولكن تعاون المُعارضة السورية أيضاً. ومع ذلك، فإن أهمية هذا الكلام قد لا تكون مفهومةً تماماً. ستزعم روسيا أن حماية جهود نزع السلاح يعني حماية النظام السوري. فإذا انهار النظام قبل إزالة الأسلحة الكيميائية، سيكون الخطر ليس فقط الفشل في إبطال الأسلحة، بل أيضاً في عدم القدرة على الإمساك بزمام الأمور. فكحدٍّ أدنى، ستتطلّب إزالة الترسانة الكيميائية السورية بعض اتفاقيّات وقف إطلاق نار محلّيّة مؤقّتة[24]. وقد يشكّل ذلك مشكلة أكبر للثُّوّار ممّا هي للحكومة، التي تستفيد من وقف القتال.

نستطيع أن نتوقّع ضغوطاً دوليةً على قوات الثُّوّار بالموازاة مع وقف إطلاق النار على أساس أن الثُّوّار المُتمركزين بالقرب من أنشطة التفكيك قد يتعرّضون لمخاطر بالإصابات الخارجية، وأسوأ من ذلك، مخاطر تسرّب المواد الكيميائية القاتلة. وقد يواجه الجيش الحُر ضغوطاً أكثر من العناصر الجهاديّة المُتطرّفة لأنه يعتمد على التعاطف والدعم الغربي، فقد يكون الجهاديّون أقلّ ميلاً إلى تعليق العمليّات لأن قتالهم المتواصل هو الذي يُجذب مُجنّدين في المقام الأول. إن السبب الوحيد الذي قد يجعل الجهاديّين يُوافقون على هُدنة مُؤقّتة يكون الحاجة لفترة راحة أو الإعتراف بالأراضي التي استولوا عليها.

إذا شكّل المُتمرّدون خطراً على إزالة الأسلحة الكيميائية، قد تتردّد الحكومات الغربية أكثر في تقديم الدعم وقد تضغط على الداعمين الماليّين الأكثر أهمية للمُتمرّدين، كالمملكة العربية السعودية وقطر، للحدّ من الدعم الذي يقدّمونه الآن، إلاّ أن مدى تأثير ذلك غير واضح. ومع ذلك، قد يُغيّر من تركيبة التمرّد نفسها، ممّا يجعل العداءات المُستمرة تبدو وكأنها تنافساً بين الأسد والجهاديّين المُتعصّبين الذين هم على استعداد لتعريض التفكيك الكيميائي للخطر. يأتي هذا التصور لمصلحة الأسد.

يخشى نقّاد خطة نزع الأسلحة الكيميائية أن تقوم الحكومة السورية بإطلاق النار على مفتّشي الأسلحة أو أن تُوحي لهم بخطورة الوضع. وهذا سيُطيل إجراء الإزالة فيما سيُلقى اللوم على المُتمرّدين لتعريض العملية للخطر.

إن الخوف من أن استمرار القتال قد يؤثّر سلباً على تدمير الأسلحة الكيميائية السورية وقد يدفع أوروبا وأمريكا، اللتان من الواضح أنهما أصلاً مُتردّدتان للتدخل في الحرب الأهلية، للسعي أكثر للتفاوض على حلٍّ سياسي. يبدو أن التسوية التي تضمن بقاء الأسد على رأس السُّلطة بدون أسلحة كيميائية أفضل من جهود الإطاحة به إذا كانت هذه الجهود تُهدّد عملية القضاء على ترسانته من الأسلحة الكيميائية.

فمن المشكوك به أن أي اتفاق سياسي دولي قد يُقنع العناصر الجهادية بوقف حملتهم. فقوتهم ازدادت ولن يستسلموا. فالسيطرة الفعلية لجَيبٍ جهادي في شرق سوريا من شأنه، على أكثر تقدير، أن يخلق هُدوءاً مُؤقّتاً، وليس إنهاءاً للأعمال الحربية. سوف تستمرّ الحرب الأهلية في سوريا في المستقبل المنظور. وهذا سيؤدي إلى المزيد من الإنقسام بين الجيش الحُر والجهاديّين "شركاء السلاح" وإلى تشويه صورة المُجاهدين في أعين المجتمع الدولي على أنّهم إرهابيّون وليسوا مقاتلين من أجل الحرية.

سيستمرّ القتال، مُتسبّباً في عدم الإستقرار لعقودٍ من الزمن

أحياناً يبدو المتقاتلون في سوريا وأنصارهم في الخارج غير مُبالين في المعارك الحالية بل كل همُّهم أن يكون لهم موطئ قدم في مرحلة سوريا ما بعد الأسد، بدءاً من الإستيلاء على الأرض وانتزاع أراضٍ وتحقيق المكاسب وتخزين الأسلحة. ولكن كيف سيبدو هذا الأمر؟

تسوية سياسية؟ هل يمكن للإتفاق الدولي الراهن لإزالة الأسلحة الكيميائية السورية أن يتوسّع ليشمل التوصّل إلى تسويةٍ سياسيةٍ أو على الأقلّ الإنخفاض في مستوى القتال؟ هناك بعض التداخل في المصالح بين الجهات الخارجية الفاعلة – روسيا، إيران، الولايات المتحدة، أوروبا، والخليج[25].

إن دعم نظام الأسد له تكلفة، وليس من الواضح إن كان أنصار الأسد الأجانب مرتبطين به شخصياً. فلقادة إيران وجهات نظر مُتباينة بشأن سوريا، خصوصاً بعد استخدام الأسد للأسلحة الكيماوية ضد شعبه[26]. ومن وجهة نظر أنصارها الأجانب أنه نقطة ضعف وهم مستعدّون أن يتحمّلوا بعض الخسائر مُقابل نظاماً متعاطفاً في دمشق يحمي مصالحهم إلى جانب العلويّن والأقلّيات المسيحيّة في سورياً.

ومن جانب آخر، لايُحبّذ الغرب رؤية ذبح العلوييّن والمسيحيّين أو استبدال الأسد بمتشدّدي تنظيم القاعدة العازمين على تحويل

إن السيناريو الأكثر ترجيحاً هو صراعٌ مسلّحٌ مستمرٌّ لعدة سنوات

سوريا مركزاً لاستمرار الجهاد ضد الغرب.

إلاّ أنه، ومع ارتفاع مستوى العنف، تبدو فرصة التوصّل لأيّة تسوية بعيدة المدى. وكُلّما طال أمد القتال بين السوريين، ازدادت وطأة الحرب الطائفية. وكُلّما كان القتال وحشيّاً، كُلّما ازداد التطهير الطائفي. وكُلّما تراكمت أسباب الإنتقام، أصبحت إمكانية التوصّل إلى حلٍّ سياسيٍّ أمراً غير مُرجّح.

لقد أُريقت الكثير من الدماء. والسلام غير مطروح – إذ أصبح الصراع صراعاً وجوديّاً لجميع الأطراف المعنيّة. هناك العديد من السوابق التاريخية المتوفّرة، بما في ذلك الحرب الأهلية في لبنان، والتي استمرّت لمدّة خمسة عشر عاماً، والفوضى المسلّحة المستمرّة في الصومال، والتي دامت أكثر من عقدين من الزمن.

استعادة حكومة "وطنية" مع رجلٍ قويٍ جديد؟ من الممكن أن يقوم رجل قوي وقاسي إلى حدٍّ ما باسترداد النظام لأمّةٍ مُنهكة. فإن تاريخ سوريا بين عامي 1946 و1969 كان فوضوياً بسبب العديد من الإنقلابات والحروب الداخلية – بالرغم أنها لم تكن بمستوى الحرب الأهلية الحالية – حتى فُرض النظام الأسدي (الأب والإبن) ودام لأكثر من أربعة عقود. ومع ذلك، فإن التاريخ نفسه أيضاً يُشير إلى أن عدم الإستقرار في سوريا قد يستمرّ لعقود.

إن عدم الاستقرار هو عبارة عن مِنصّة تُتيح لجميع الأطراف فرصة تعزيز جدول أعمالهم. وقد تكون النتيجة قوةً تقليديةً واحدة تحكُم سوريا، أو خليطاً من الأطراف الحاليين، أو منافسةً إقليميةً جماعيةً.

تقسيم دائم؟ وردّاً على سؤال عما سيحدث إن لم تكن هناك تسوية سياسية أو لم يكن هناك تدخّلٌ أجنبيٌ لإزاحة الأسد، أجاب سليم إدريس، رئيس هيئة الأركان العامة في الجيش السوري الحُر: "ستظل سوريا مُدمّرة. ثم سنرى المزيد من الكراهية وانهيارٍ تام[27]."

سيُسفر النزاع الطويل الأمد إلى بلقنة سوريا في بعض المدن مع سيطرةٍ حكوميةٍ بالإضافة إلى معقل العلويّين غرباً وهيمنةٍ سُنيّة شرقاً. إلاّ أن الأُسس الطائفية في سوريا ليست مُنظّمة كما هو الحال في العراق. فسوريا هي أكثر عبارة عن فُسيفساء من حدود وجبهاتٍ مُتحوّلة ممّا يعني أنّه يتطلّب الأمر تطهيراً عرقياً لخلق جيوبٍ أنقى، ويعني هذا المزيد من الإنتقام سيُصعب معه تحقيق الوحدة.

إن التوصّل إلى تسوية سياسية تُعيد سوريا إلى حالة ما قبل الحرب وتسمح بعودة اللاجئين السوريين إلى ديارهم الأصلية أصبح أمراً غير مُرجّح. ويبدو أنه من الأرجح أن إعادة التجميع والتوطين ستجعل من الجيوب العرقية والطائفية السورية سِمات دائمة في هذا المشهد. ممّا سيعيق التجارة والإنتعاش الإقتصادي مُستقبلاً.

مأوى إرهابي؟ كُلّما استمرّ القتال، كُلّما ازدادت المخاوف من قُدرة العناصر المُرتبطة بتنظيم القاعدة على تعزيز مواقعها، بما يعطيها معقلاً جديداً يُمكّنها الإنطلاق منه لعمليات إرهابية ضد الغرب. أما بالنسبة للجماعات الجهاديّة المحليّة كجبهة النُصرة، فسيكون لها فرصة تأسيس وتنظيم خلافة إسلامية جديدة. ويعني ذلك التمهُّل في اتخاذ التدابير اللازمة التي قد تُثير حفيظة السُكّان المحليّين وتُجنّب الإجراءات التي يمكن أن تؤدي إلى تدخّل عربي.

تُمثل الحوكمة توجّهاً استراتيجيّاً جديداً للحركة. وقد يكون ذلك تطوّراً مُزعِجاً لعدّة أسبابٍ، إذ يُعيق الجهود الدولية المبذولة للقضاء على القاعدة. إلاّ أنه قد يفتح مجالاً جديداً لخصوم القاعدة. هل يُمكن للدبلوماسية الإبداعية أن تستغلّ الخلافات بين الأطياف المختلفة في الحركة الجهادية؟ هل يمكن أن ينفصل الجهاديّون المحلّيّون عن الحملة الإرهابية الدولية لتنظيم القاعدة؟ يُشير التاريخ إلى عكس ذلك. فتقريباً لا يوجد فرعٌ واحدٌ من فروع القاعدة بقِيِ محلّيّاً. ومع الوقت، تمكّنت القيادة المركزية لتنظيم القاعدة من تجنيد فروعها المحلية في جهادها العالمي.

تُشكّل حركة الشباب التي تتّخذ مقرّها الصومال، مثالاً ممتازاً للانتقال من التمرّد المحلّي إلى منظّمةٍ إرهابيةٍ عالميةٍ، والتي قد يحذوا حذوها الجهاديّون في سوريا. فقد بدأت حركة الشباب كحركةٍ فكريةٍ إسلاميةٍ ولكنها صومالية بحتة. وقد حاولت بداية إطلاق يدها في الحُكم المحلي. وبعد تزايد سيطرة المُتشدّدين على الحركة، رفعت من مكانتها بإعلان ولائها للقاعدة.

بعد اضطرارها إلى التراجع تحت ضغط من القوات المشتركة المؤلّفة من الحكومة الصومالية وبعثة الإتحاد الأفريقي في الصومال، وهي قوة حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، قامت حركة الشباب بتفجيراتٍ إنتحاريةٍ في أوغندا، أدّت إلى مقتل 72 شخصاً. إن استمرار تطوّر الحركة من حركة تمرّد إسلامي محلّي إلى منظمةٍ إرهابيةٍ دوليةٍ ظهرت بشكل درامي وكبير في نيروبي، حيث قتل مسلّحون منتمون إلى حركة الشباب 67 شخصاً في مركزٍ للتسوّق كردٍّ على مشاركة الجنود الكينيّين في عملية الصومال. سرّع التدخّل الأجنبيّ، والذي ساهم في إحداث إنتكاساتٍ على الأرض، في تدويل الحملة الإرهابية لحركة الشباب.

ويبقى أن نرى ما إذا كان الجهاديّون في سوريا سوف يتّبعون مسار حركة طالبان في أفغانستان، ولكن مع تجنّب هذا النوع من الحملة الإرهابية الدولية التي أسقطت حكومة طالبان، أو أنهم،

بدلاً من ذلك، سيتّبعون مسار حركة الشباب أو تنظيم القاعدة في الجزيرة العربية وينضمّون إلى حملة إرهابية دولية، والتي هي المُفضّلة لدى القيادة المركزية لتنظيم القاعدة.

صراع إقليمي؟ يُثير النزاع الطويل الأمد في سوريا احتمال نُشوب حربٍ إقليميةٍ على نطاقٍ أوسع بين السُّنّة والشّيعة، مع قوات الأسد والعلويّين في سوريا، ومُقاتلي حزب الله، والميليشيات الشّيعية في العراق، وإيران من جهةٍ، والثُّوّار في سوريا، والجهاديّين، وجبهات تنظيم القاعدة في لبنان والعراق وتركيا والمملكة العربية السعودية، والخليج من جهةٍ أخرى. وستواجه روسيا والولايات المتحدة بعضها البعض عبر الإنقسام الطائفي. إن الوضع، وبطبيعة الحال، أكثر تشابُكاً من ذلك. فالحكومة العراقية التي يُهيمن عليها الشّيعة طلبت مساعدة الولايات المتحدة في التعامل مع الإرهابيّين السُّنّة، في حين أن كلاًّ من الولايات المتحدة وروسيا، وكذلك الخليج، جميعهم مُعادين لتنظيم القاعدة.

كيف يمكن أن تكون حرب إقليمية أوسع إذا ما اندلعت؟ قد لا تشمل بالضرورة حرباً مفتوحةً بين القوى الإقليمية الكبرى – إيران، والمملكة العربية السعودية، وتركيا. فالجيوش الوطنية لن تجوب في الصحراء. بل قد تكون حرباً على عدّة جبهات مع توغُّلات عسكرية محدودة واستمرار حرب العصابات وحملات إرهابية متعدّدة.

قد لا تندلع حرب طائفية أوسع. بل يتصاعد القتال تدريجياً، ويختلف عن الوضع الحالي فقط في حدّته. وقد تستمرّ الحرب الأهلية في سوريا، مع قوات الأسد مدعومةً بشكلٍ متزايدٍ من قِبل حزب الله و"المُتطوّعين" المُرسلين من طرف إيران والمُحتشدين ضدّ المُتمرّدين العلمانيّين، والسلفيّين، والجهاديّين السوريّين، والذين هم أصلاً مُساندون من قِبل مقاتلي حركة طالبان الباكستانية وجماعات سُنّيّة مُتشدّدة أخرى.

قد تصبح الجيوب الطائفية الحدود الجديدة فعليّاً، ماحيةً بذلك الحدود التي رسمتها القوى الإستعمارية منذ قرن. إن السُّنّة في لبنان، بما فيهم المُجنّدين الجُدد لتنظيم القاعدة في المعاقل السُّنّية التقليدية كالموجودة في طرابلس وفي مخيمات اللاجئين الفلسطينيّين حيث حلّ جهاديّو تنظيم القاعدة محلّ المنظمات الإرهابية الفلسطينية السابقة، قد يقاتلوا حزب الله كتكرارٍ للحرب الأهلية في البلاد في الثمانينات من القرن الماضي. وقد تصبح المملكة العربية السعودية والخليج هدفاً للتخريب والتدمير والإرهاب بتحريضٍ من إيران.

يعتبر الإسرائيليون نظام الأسد نظاماً بلطجياً، ولكن، ولمُدّة أربعين عاماً حافظ هذا النظام على التهدئة على الحدود الإسرائيلية السورية. وما يُقلق إسرائيل الآن أن يؤدي انتصار الأسد إلى زيادة نُفوذ حزب الله وقوّته، إلاّ أن سقوطه قد يجلب مجموعةً من تنظيم القاعدة المُتعصّبين إلى حدودها، فالكلّ يتنافس لإحداث اضطرابات. وفي الوقت نفسه، إن اتفاق الأسلحة الكيميائية السورية ألقى الضوء على اهتمام دولي يعترض على الترسانة الإسرائيلية نفسها. أمّا في الوقت الحاضر، فإن السيناريو الأقلّ سوءاً، من وجهة نظر إسرائيل، هو استمرار القتال الذي يستنزف قوّة جميع المشاركين.

التهديد الذي يُشكّله المقاتلون الأجانب

مُعظم الـ 6,000 لـ 8,000 من المقاتلين الأجانب بين المُتمرّدين في سوريا يأتون من الدول العربية – العراق، وليبيا، وتونس، بالإضافة إلى بعض دول الخليج. وكما جاء في بعض التقارير، فإن العدد يشمل الكثير من الشيشان، ويظهر أيضاً متطوّعون من الباكستان. وتُشير آخر التقديرات أن ما بين 1,500 إلى 2,000 مقاتل هم مُتطوّعون توجّهوا من أوروبا إلى سوريا[28]. سترتفع هذه الأرقام بلا شكٍّ مع استمرار القتال.

إن بعض المتطوّعين لديهم العزم على القتال. غير أن آخرين يُعتبرون جهاديّين سيّاح يبقون بعيداً عن أي أذى ويلتقطون صوراً لأنفسهم ويتفاخرون بها أمام أصدقائهم في بلدانهم على وسائل التواصل الإجتماعي[29].

إن طريق الدخول الرئيسي هو عبر تركيا. ويُقال أن معظم المقاتلين الأجانب ينضمّون إلى جبهة النصرة، التي تنشط في دعوة المقاتلين الأجانب تُرتّب لقاءهم على الحدود التركية. إلاّ أنهم الآن قد يتّجهون للدولة الإسلاميّة في العراق والشام فهي منظّمة صاعدة في نظرهم.

ويبدو أن هؤلاء المقاتلين هم دوليّون. فيذهبون أينما كانت هناك معركة، ويستمدّون مكانتهم من خلال دورهم في استمرار القتال، ولا يهتمّون في التسويات التي تُعيد السلام. لا يريدون سوى أن يتم إرسالهم إلى ساحة معركة أخرى، على الرغم ممّا لا شكّ أن البعض منهم يأمل اكتساب خبرة وبناء شبكات في سوريا تُمكّنهم من القيام بثورات مُشابهة في بُلدانهم.

تبدو أوروبا قلقة بشأن ما قد يحدث عندما يعود هؤلاء المقاتلون إلى أوطانهم، وقد اكتسب بعضهم مهارات عسكرية وخبرة قتالية، وقد ينخرطون في أنشطة إرهابية. يُنظر إلى المقاتلين الأجانب في سوريا، كتهديدٍ أكبر بكثير من الجيل السابق للمحاربين

لن تجوب الجيوش الوطنية في الصحراء. بل قد تكون حرباً على عدّة جبهات مع توغُّلات عسكرية محدودة واستمرار حرب العصابات وحملات إرهابية متعدّدة.

الجهاديّين العائدين من أفغانستان، وذلك بسبب قُربهم وحجمهم.

وحسب علمنا، إن عدداً قليلاً من الأميركيّين انضمّوا إلى المُتمرّدين السوريّين ببُطئ – ربّما العشرات منذ تشرين الثاني 2013 – ويظهر أن الزّخم آخذٌ في التزايُد. فالمناقشة بين المُحاربين المُحتملين على وسائل التواصل الاجتماعي تُشير إلى تطلعاتهم. فإن فكرة المُنتجعات الجهادية الآمنة حيث يُمكن للمرء التظاهُر بالمشاركة فيها، هي فكرة جذّابة، بيد أن هناك قلق دائم من زيادة تطرّف الأفراد عند وصولهم هناك، وإعادة توجيههم للمشاركة في أعمال إرهابية داخل بُلدانهم[30]. وهناك أيضاً قلقٌ من تنامي الطبيعة الطائفية المُتزايدة للصراع في سوريا بحيث تنتقل إلى مجتمعات الشتات.

في الوقت الحالي، إن إغراء الحرب الأهلية في سوريا قد لا تكون شيئاً سيّئاً، إذ يُمكن الإستفادة من بعض المُتهوّرين الذين، خلافاً لذلك، قد يُسبّبون المتاعب في بُلدانهم. علاوةً على ذلك، قد لا تكون الجماعات الجهادية في سوريا تبحث عن القتال مع البُلدان الغربية، التي هي أيضاً تُعارض الأسد. قد يتغيّر هذا الموقف إذا ما قبِل الغرب الأسد بخفاء باعتباره أهون الشرّين، وإذا ما تخلّى عن حركة الثوّار، أو إذا ما تحرّكت قوات الثوّار المدعومة من الغرب ضد الجهاديّين في الحرب الأهلية أو في أجواء ما بعد الأسد.

هذه ليست مشكلة عاجلة، بما أن تدفّق المُجنّدين هو تُجاه سوريا، وليس العكس. إلاّ أن تنظيم القاعدة قد يُجنّد أفراداً من مجموعة المُتطوّعين القادمين للقيام بعمليات إرهابية في الغرب. يُذكر أن محمد عطا جاء أصلاً للقتال في أفغانستان ولكنه عُيّن بعد ذلك من قِبل تنظيم القاعدة لقيادة عمليّات 11 أيلول.

من المُرجّح أن لا يعود المُتحاربون السوريّون القُدامى القادمين من أوروبا عبر المطارات الأوروبية لأنهم يعلمون أنهم سيتعرّضون لفحصٍ دقيق. فقد يحاولون، بدلاً من ذلك، التسلّل إلى أوروبا عبر الحدود برّاً – خصوصاً عن طريق تركيا إلى بُلغاريا. سيُعقّد ذلك من قضيّة اللاجئين. فبعض اللاّجئين السوريين هم بالفعل مُشتبه بهم.

وحسب بعض المسؤولين الأوروبيين، إن تركيا لا تساعد في قضية اللاجئين بالذات. فبدلاً من قبول المزيد من اللاجئين السوريّين على أراضيها، يُشتبه في أنها تُسهّل عملية نقلهم سرّاً إلى أوروبا. وهناك أيضاً قلق أن يصبح اللاجؤون السوريّون المُقيمون في أوروبا قواعد لتجنيد المقاتلين الذين سيعودون إلى سوريا أو لأنشطة إرهابية محلّيّة.

بعض التبعات في السياسات

ركّز هذا المقال على ديناميكيات استمرار الصراع في سوريا وكيف قد يؤثّر هذا على مسار الصراع مُستقبلاً. لم تكُن نيتي إعطاء وصفةٍ سياسية. ومع ذلك، قد يكون من المفيد طرح بعض التبعات في السياسات (والأسئلة) التي تنشأ إذا ما اتّبعت الحرب الأهلية في سوريا المسار الذي تمّ وصفه.

إن حالة الشكّ أمرٌ لا مفرّ منه. هناك الكثير الذي نجهله. وهذا ليس نتيجة قصورٍ في جهود المعلومات الإستخبارية. في ظلّ الظروف المُتغيّرة في سوريا، فإن المشاركين أنفسهم غير متأكّدين ممّا سيحدث بعد ذلك. يمكن وصف الوضع بأنه مدفوعاً بالحدث. لقد تغيّر الوضع بشكل كبير خلال السنوات الثلاث الماضية، ومن المُرجّح أن يستمرّ في التغيير.

القوى الخارجية محدودة النفوذ. في غياب التزام عسكري هام، فإن قُدرة الولايات المتحدة وحلفائها للتأثير على مجرى الأحداث في سوريا هي محدودة. ولا يمكن التنبؤ بعواقب تدخل عسكري كبير.

الحذر مطلوب. تتطلّب العوامل المذكورة أعلاه الحذر – في إبداء التوقّعات، وتحديد الخطوط الحمراء، والقيام بالإلتزامات. يميل الأميركيّون إلى ضرورة العمل حتى لا تفقد الولايات المتحدة مصداقيّتها ومكانتها في العالم. الضرورة هنا هو أن لا نتسبّب بضررٍ أكبر. ولكن لا يعني ذلك التراخي.

يجب تحديد أولويّات الأهداف. هناك العديد من الأجندات المتنافسة – انقلاب الأسد، وضمان خليفة ديمقراطي، وإظهار مصداقية الولايات المتحدة، وتأمين أسلحة الدمار الشامل السورية، ومنع وقوع كارثة إنسانية (كرواندا)، وعدم السماح للقاعدة الحصول على أسلحة مُتطوّرة أو إقامة قواعد جديدة في قلب الشرق الأوسط، ومنع حُدوث صراعٍ طائفيٍّ إقليميٍّ، تحدّياً للرغبة الروسية والإيرانية في الهيمنة. كل هذه الأجندات مهمّة، ولكن هل يمكن الحصول عليها سوياً؟

سيستمرّ الصراع في سوريا. في حين أن هذا لا يقلّل من الإلتزام للتوصّل إلى حلٍّ سلميٍّ، لكن يجب أن تكون التوقّعات واقعية. إن الرغبة في التسوية يجب أن لا تدفع الولايات المتحدة إلى الموافقة على تسويةٍ سيّئة.

يجب أن تكون سياسة الولايات المتحدة مرِنة وواقعية وتنتهز الفرص. إن لم تكن خيارات جيّدة اليوم، هذا لا يعني أنه لن تكون هناك خياراتٌ جيّدةٌ مُستقبلاً.

الإستمرار في دعم الثُوّار. هناك نتائج أسوأ من الوضع الحالي. سترغب الولايات المتحدة الأمريكية في تحقيق مكاسب على الأرض في سوريا. إن وجود الجهاديّين في سوريا لا يجعل المُعارضين الآخرين لنظام الأسد غير جديرين بالمساعدات المستمرّة. وهم، في الوقت الحالي، يُعتبرون أصدقاء الولايات المتحدة المحليّين الوحيدين في سوريا. قد يحتاج الوضع الدقيق لاستمرار مساعدة حركة الثُوّار إلى السّرّية لأسبابٍ حِسابيّةٍ، وليس

لأسبابٍ سياسيّة.

يجب أن تكون الجهود الأمريكية مُستدامة ومُستمرّة. قد يبدو بديهيّاً نظراً للتدخّلات الأمريكية في الخارج، أن تكون الإستثمارات الكبيرة قصيرة الأمد. قد يستدعي ذلك جهداً طويل الأمد. فإذا كان التقييم لجهود الولايات المتحدة أنها غير فاعلة، فلا ينبغي أن يؤدّي ذلك إلى التعجّل في الإنسحاب أو التصعيد الفوري.

التعامل مع سوريا المجزأة وليس كدولة واحدة. أصبحت سوريا فكرةً تجريديّة. وتحقيق الأهداف الأمريكية قد يتطلّب التعامل بشكلٍ مُنفصلٍ مع المشاكل المختلفة وفي مجالات اهتمام وجغرافيا مختلفة. فعلى سبيل المثال، إذا كان هناك هجوماً إرهابياً على الغرب وكان مصدره الجماعات الجهادية في سوريا، فلا المخاوف بشأن السيادة السورية ولا الدعم المستمر للثُّوّار سيمنع العمل المباشر ضدّ الجهاديّين. ولا يجب السماح لتصرّفات الجهاديّين أن تؤدّي إلى وقف المساعدة الأمريكية لمجموعات الثُّوّار الآخرين.

احتواء الصراع. يجب منع الحرب الأهلية في سوريا من أن تتحوّل إلى صراع إقليمي أوسع، والذي سيُهدّد المصالح الأميركية وغيرها في المنطقة. قد لا يُمكن منع الصراع السوري من الإنتشار، ولكن يجب أن يكون هذا هدفاً. وسيتطلّب ذلك المشاركة في العمل مع دول خطّ المواجهة مثل الأردن والعراق وتركيا ولبنان وإسرائيل، بالإضافة للقوى المعنيّة بشكلٍ مُباشرٍ مثل المملكة العربية السعودية.

سيبقى تنظيم القاعدة موجوداً. لقد تدهورت قدرات قيادة العمليات لتنظيم القاعدة، ولكن كما يُشير الوضع في سوريا، فإن مشروعها الجهادي العالمي مرن وانتهازي. والسؤال الذي يُشكّل تحدّياً للدبلوماسية الأمريكية هو ما إذا كان باستطاعة الجهاديّين المحليّين الجدد فصل أنفسهم عن الحملة الإرهابية العالمية لتنظيم القاعدة. ولكن لا تزال القاعدة وفروعها تُشكّل تهديداً لأمن الولايات المتحدة.

يُمثّل اللاجئون في سوريا قلقاً إنسانياً وأمنياً. قد يُزعزع العدد المُتزايد من اللاجئين الذي خلّفه النزاع السوري استقرار الدول المجاورة، وقد يُوفّر وعاءاً جديداً للتطرّف وتجنيد الإرهابيّين، أما في أوروبا، فسيؤدي إلى نمو كراهية الأجانب ويخلق ردّات فعلٍ عُنصريّة. في هذه المنطقة، يتطلّب الأمر نشاطاً وترابُطاً أكثر.

الخاتمة

إن الحروب الأهليةَ مُدمّرةٌ. فكلا الجانبين يُدمّر البُنيةَ التحتيةَ ويشنّ الحرب الإقتصاديةَ، ممّا يُسبّبُ الدمار والتفكّك. بجانب سقوط ضحايا حرب، هناك تدمير للموارد البشرية بسبب النقص في الخدمات الصحية والتعليم، إذ يتحوّل الإستثمار نحو الأسلحة. إن الصراعات الطائفية، كما هو الحال في الحرب الأهلية في سوريا، قد مزّقت النسيج الإجتماعي للبلاد. وستستمرّ لوقتٍ طويل.

تقضي الحرب الأهلية في سوريا على المؤسسات الوطنية في البلاد وتخلق ظروفاً مُهيّئةً لصراع محلّي طويل الأمد. أدّت التكتيكات الحكومية الوحشية لمكافحة التمرّد إلى الفوضى مع انهيار السّلطة، واستيلاء الحكم الإسلامي القاسي في بعض مناطق المُتمرّدين إلى تشريد جُزءٍ كبيرٍ من السُّكّان. وليس من الواضح حتى الآن أي طرف في هذه اللعبة يمكنه توفير الحماية لأولئك الذين يرغبون في الهرب من الطُّغاة الإسلاميّين ولا يستطيعوا العيش في جيوبٍ طائفيةٍ مواليةٍ للنظام. فبالنسبة لكثيرٍ من السوريّين، أصبح السفر إلى الخارج مع احتمالٍ ضئيلٍ للعودة هو الخيار الوحيد، إلاّ أن هؤلاء اللاجئين السوريّين أنفسهم سيزيدون من التوتّراتِ الطائفيةِ الموجودةِ في دولِ الجوار، وسيصبحون الأرض الخصبة لتجنيد أفواجٍ جديدةٍ من المُتطرّفين وأهدافاً لأعدائهم، مُقدّمين أجيالاً جديدةً من المُقاتلين والمُجرمين للعمل في سوريا وفي أماكنَ أخرى. سنُعاني من مُخلّفات الصراع السوري لعقودٍ من الزمن.■

الملاحظات

1 وفقاً للأمم المتحدة (UN)، فرّ أكثر من 2.2 مليون شخص من البلاد، في حين أن 4.5 مليون آخرين نزحوا داخل البلاد. تتزايد هذه الأرقام بشكلٍ سريع. تتوقّع الأمم المتحدة أنه، مع استمرار القتال، وبحلول نهاية عام 2014، أكثر من نصف عدد سكان سوريا قد يعيشون كلاجئين (مفوض الأمم المتحدة السامي للاجئين، غير مؤرّخ).

2 أنا مُدين للزملاء في مؤسسة RAND كريس شيفيس وبروس هوفان وسيث جونز وداليا كاسا كي وآندرو ليبمان Chris Chivvis, Bruce Hoffan, Seth Jones, Dalia Kassa Kaye, and) (Andrew Liepman وللقُرّاء الخارجيّين قنتا أحمد ولورنس سانشيز وريبيكا وينر (Qanta Ahmed, Lawrence Sanchez, and Rebecca Weiner) لتعليقاتهم المُفيدة ولنصائحهم.

3 تأتي المواد حول أمر المعركة في سوريا من عدّة مصادر، بما في ذلك هوليداي (Holliday) 2013a، وIHS لمؤسسة JANES، 2013 ، والمعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية (International Institute for Strategic Studies)، 2013 .

4 هوليداي 2013a.

5 إن العلويّين من الناحية الفنّيّة هم إحدى الطوائف الشيّعيّة في الإسلام، على الرغم من أنهم لا يربطون أنفسهم مع الشّيعة ويعتبرهم بعض المسلمين أنهم طائفةٌ مُنفصلةٌ – يعتبرهم بعض المسلمين مُلحدين. يُشكّل العلويّون ما يُقارب الـ11 في المئة من سُكّان سوريا ولكنهم يُسيطرون على نظامها السياسي – الأسد علوي. إن ما يُقارب الـ 74 في المئة من السوريّين هم مسلمون سُنّة. أمّا المسيحيّون، والذين بدورهم مُنقسمين لعدّةِ طوائفَ، فهم يُشكّلون 10 إلى 12 في المئة. أمّا الأكراد، وهم أقلية عرقية سُنّيّة، تُمثّل 9 في المئة، والدروز، وهم مجموعة عرقية دينية، تُشكّل حوالي 5 في المئة. وبالإضافة إلى ذلك، هناك الشيّعة غير العلويّين والتُركمان، واليزيديّين.
للحصول على مُقدمة عن التركيبة السُّكانية المُعقّدة في سوريا ، راجع كيسلر (Kessler)، 1987 .

6 أنزلون (Anzalone)، 2013 ، دي يانغ وواريك (DeYoung and Warrick)، 2013، بلانفورد (Blanford)، 2013.

7 سميث (Smyth)، 2013 .

8 ليستر (Lister)، 2013b .

9 روجيو (Roggio)، 2013.

10 كايد (Kayed)، 2013.

11 "قيادة مجموعات سورية مُتمردة من قِبل الجبهة الإسلامية الجديدة" ("Leading Syrian Rebel Groups Form New Islamic Front")، 2013 .

12 زيسر (Zisser)، 2013.

13 يصف بارفي (Barfi)، 2013 ، بالتفصيل أصول وتعقيدات هذا الإنقسام.

14 هوزينبول وستيوارت (Hosenball and Stewart)، 2013.

15 ليستر، 2013a.

16 تاليف، والكوت وأطلس (Talev, Walcott, and Atlas)، 2013.

17 البيت الأبيض، 2013.

18 تصف الأركان العامة الروسية عقيدة مكافحة التمرّد السوفياتي في أفغانستان بالتفصيل، 2002.

19 يعطي لوفيفر وصفاً مفصّلاً لثورة الإخوان المسلمين (Lefevre)، 2013، وأيضاً سيل (Seale)، 1988. راجع أيضاً فان دام (Van Dam)، 2011.

20 والت (Walt)، 2013.

21 جينكينز (Jenkins)، 2013 .

22 الجمهورية الفرنسية، 2013.

23 فانديفر (Vandiver)، 2013.

24 "الحرب السورية تتخطّى طريقاً لشحن الأسلحة الكيميائية الهامّة" (Syrian War Overtakes" "Crucial Chemical-Arms Shipping Route)، 2013 .

25 أوليكر (Oliker)، 2013.

26 نادر (Nader)، 2013، و"ما العمل الآن؟ إيران مُنقسمة حول سوريا" (What to Do Now?" "Iran Torn on Syria)، 2013.

27 رئيس أركان الجيش السوري الحُر: "لماذا الغرب فقط يتفرّج؟" (Why is the West Just" "Looking On?)، 2013.

28 "الآلاف من الشباب الجهاديّين الأوروبيّين يُقاتلون في سوريا" (Thusands of Young European" "Jihadists Are Fighting in Syria)، 2013. راجع أيضاً بانتوتشي (Pantucci)، 2013 ، "المقاتلون الأجانب في سوريا: تحليل العقد المقبل من الصراع" (Syria's Foreign Fighters: Dissecting the" "Next Decade of Conflict)، 2013 ؛ هولدن (Holden)، 2013 ؛ وشاسمار (Chasmar)، 2013.

29 رويترز (Reuter)، 2013 .

30 جونز (Jones)، 2013 .

المراجع

Anzalone, Christopher, "Zaynab's Guardians: The Emergence of Shi'a Militias in Syria," *CTC Sentinel*, Combating Terrorism Center, West Point, July 2013. As of December 9, 2013:
http://www.ctc.usma.edu/posts/zaynabs-guardians-the-emergence-of-shia-militias-in-syria

Barfi, Barak, "Jihadist Organizations in Syria," testimony before the House Committee on Foreign Affairs, Subcommittee on Terrorism, Nonproliferation, and Trade, U.S. Congress, November 20, 2013.

Blanford, Nicholas, "Leaked Video: Iran Guiding Thousands of Shiite Fighters to Syria," *The Christian Science Monitor*, September 23, 2013. As of December 9, 2013:
http://www.csmonitor.com/World/Security-Watch/2013/0923/Leaked-video-Iran-guiding-thousands-of-Shiite-fighters-to-Syria

Chasmar, Jessica, "French Intelligence Sees 'Steep Rise' in Western Jihadists Flocking to Syria," *The Washington Times*, October 22, 2013. As of December 9, 2013:
http://www.washingtontimes.com/news/2013/oct/22/french-intelligence-sees-steep-rise-western-jihadi/

DeYoung, Karen, and Joby Warrick, "Iran and Hezbollah Build Militia Networks in Syria in Event That Assad Falls, Officials Say," *The Washington Post*, February 10, 2013. As of January 9, 2014:
http://www.washingtonpost.com/world/national-security/iran-hezbollah-build-militia-networks-in-syria-in-event-that-assad-falls-officials-say/2013/02/10/257a41c8-720a-11e2-ac36-3d8d9dcaa2e2_story.html

"Free Syrian Army Chief: 'Why is the West Just Looking On?'" Interview with General Idriss, *Spiegel Online International*, September 24, 2013. As of December 9, 2013:
http://www.spiegel.de/international/world/free-syrian-army-head-gen-idriss-rebels-need-western-support-now-a-923933.html

Holden, Ming, "What I Learned on the Ground in Syria," Huffington Post, The Blog, September 9, 2013. As of January 9, 2014:
http://www.huffingtonpost.com/ming-holden/im-antiwar-thats-why-i-su_b_3887378.html

Holliday, Joseph, *The Syrian Army: Doctrinal Order of Battle*, Washington, D.C.: Institute for the Study of War, February 2013a.

———, *The Assad Regime: From Counterinsurgency to Civil War*. Washington, D.C.: Institute for the Study of War, March 2013b. As of December 9, 2013:
http://www.understandingwar.org/sites/default/files/TheAssadRegime-web.pdf

Hosenball, Mark, and Phil Stewart, "Kerry Portrait of Syria Rebels at Odds with Intelligence Reports," *Reuters*, September 5, 2013. As of December 9, 2013: http://www.reuters.com/article/2013/09/05/us-syria-crisis-usa-rebels-idUSBRE98405L20130905

IHS Jane's, "Armed Forces, Syria," *Jane's Sentinal Security Assessment—Eastern Mediterranean*, March 25, 2013.

International Institute for Strategic Studies, "Middle East and North Africa," *The Military Balance 2013*, London: Routledge, 2013. As of December 9, 2013: http://www.iiss.org/en/publications/military%20balance/issues/the-military-balance-2013-2003/mb2013-07-middle-east-4a26

Jenkins, Brian Michael, "Limited Military Interventions Do Not Unseat Dug-In Dictators," Santa Monica, Calif.: RAND Corporation, The RAND Blog, September 9, 2013. As of December 9, 2013: http://www.rand.org/blog/2013/09/limited-us-military-strikes-do-not-unseat-dug-in.html

Jones, Seth, "The Terrorist Threat from Syria," testimony before the House Committee on Homeland Security, Subcommittee on Counterterrorism and Intelligence, U.S. Congress, May 22, 2013.

Kayed, Omar, "A Cross-Section of Islamist Rebel Force in Syria," *Al Monitor*, December 2, 2013. As of December 9, 2013: http://www.al-monitor.com/pulse/security/2013/12/syria-map-islamic-forces.html

Kessler, Martha Neff, *Syria: Fragile Mosaic of Power*, Washington, D.C.: National Defense University Press, 1987.

"Leading Syrian Rebel Groups Form New Islamic Front," *BBC News Middle East*, November 22, 2013. As of December 9, 2013: http://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-25053525

Lefevre, Raphael, *Ashes of Hama: The Muslim Brotherhood in Syria*, Oxford, UK: Oxford University Press, 2013.

Lister, Charles, "Syria's Insurgent Landscape," *Jane's Terrorism and Security Monitor*, IHS Jane's, September 13, 2013a.

———, "Syrian Militant Islamists Denounce SNC and Form 'Islamic Alliance,'" *Syria Deeply*, September 27, 2013b. As of December 9, 2013: http://beta.syriadeeply.org/op-eds/syrian-militant-islamists-denounce-snc-form-islamic-alliance/#.UqIzuGRDt30

Nader, Alireza, "Rouhani's Syrian Dilemma," Santa Monica, Calif.: RAND Corporation, The RAND Blog, August 30, 2013. As of December 9, 2013: http://www.rand.org/blog/2013/08/rowhanis-syria-dilemma.html

Oliker, Olga, "The Road on from Damascus: What the Syria Deal Means for the U.S. and Russia," Santa Monica, Calif.: RAND Corporation, The RAND Blog, September 23, 2013. As of December 9, 2013: http://www.rand.org/blog/2013/09/the-road-on-from-damascus-what-the-syria-deal-means.html

Pantucci, Raffaello, "British Fighters Joining the War in Syria," *CTC Sentinel*, Combating Terrorism Center, West Point, February 2013. As of December 9, 2013: http://www.ctc.usma.edu/posts/british-fighters-joining-the-war-in-syria

République Francaise, *Synthèse Nationale de Reseignement Déclassifié: Programme Chimique Syrie; Cas d'Emploi Passés d'Agents Chimiques par le Régime; Attaque Chimique Conduit par le Régime le 21 août 2013*, September 2013.

Reuter, Christopher, "Jihad Tourists: How Dangerous Are Syria's Foreign Fighters?" *Spiegel Online International*, September 27, 2013. As of December 9, 2013: http://www.spiegel.de/international/world/syrian-jihadist-problem-is-real-but-reports-often-exaggerated-a-924900.html

Roggio, Bill, "Free Army Continues to Fracture as More Units Defect," *The Long War Journal*, October 17, 2013. As of December 9, 2013: http://www.longwarjournal.org/archives/2013/10/free_syrian_army_con.php

Russian General Staff, *The Soviet Afghan War: How a Superpower Fought and Lost*, translated and edited by Lester W. Grau and Michael A. Gress, Lawrence, Kans.: University of Kansas Press, 2002.

Seale, Patrick, *Assad of Syria: The Struggle for the Middle East*, Berkeley and Los Angeles, Calif.: University of California Press, 1988.

Smyth, Phillip, testimony before the House Foreign Affairs Committee's Subcommittee on Terrorism, Nonproliferation, and Trade, U.S. Congress, November 20, 2013.

"Syrian War Overtakes Crucial Chemical-Arms Shipping Route," *NTI Global Security Newswire*," December 3, 2013. As of December 9, 2013: http://www.nti.org/gsn/article/syrian-war-overtakes-crucial-chemical-arms-shipping-route/

Talev, Margaret, John Walcott, and Terry Atlas, "Obama Said to Order Arming Syrian Rebels Amid Setbacks," *Bloomberg*, June 14, 2013. As of December 9, 2013: http://www.bloomberg.com/news/2013-06-14/u-s-backs-syrian-rebel-military-aid-as-chemicals-used.html

"Thousands of Young European Jihadists Are Fighting in Syria," *Euronews*, May 12, 2013. As of January 9, 2014: http://www.euronews.com/2013/12/05/thousands-of-young-european-jihadists-are-fighting-in-syria/

United Nations High Commissioner for Refugees, "Syria Regional Refugee Response," Inter-Agency Information Sharing Portal, undated. As of December 7, 2013: http://data.unhcr.org/syrianrefugees/regional.php

Van Dam, Nikolados, *The Struggle for Power in Syria: Politics and Society Under Asad and the Ba'th Party*, London: I. B. Taurus & Co., Ltd., 2011.

Vandiver, John, "Troops Needed to Secure Syria's Chemical Weapons, Some Experts Say," *Stars and Stripes*, May 29, 2013. As of December 9, 2013: http://www.stripes.com/news/troops-needed-to-secure-syria-s-chemicalweapons-some-experts-say-1.223510

Walt, Vivian, "A Coalition of the Willing: Europe's Role in Possible Intervention," *Time*, August 28, 2013. As of December 9, 2013: http://world.time.com/2013/08/28/a-coalition-of-the-willing-europes-role-in-possible-syrian-intervention/

"What to Do Now? Iran Torn on Syria," Santa Monica, Calif.: RAND Corporation, The RAND Blog, September 11, 2013. As of December 9, 2013: http://www.rand.org/blog/2013/09/what-to-do-now-iran-torn-on-syria.html

The White House, "Presidential Determination—Syria," September 16, 2013. As of December 9, 2013: http://www.whitehouse.gov/the-press-office/2013/09/16/presidential-determination-syria

Zisser, Eyal, "The Deadlocked Syrian Crisis: The Fable of the Ants and the Elephant," *Strategic Assessment*, Vol. 16, No. 2, July 2013.

عن هذا المنظور

بينما يدخل الصراع الجاري في سوريا عامه الثالث، فإن حالة عدم التأكّد المستمرّ لما يجري على الأرض، والنتائج المُحتملة، والعواقب الطويلة الأمد ستظلّ تُربِك التحاليل وردود السياسات المُمكنة. تبحث هذه الورقة عن ديناميكيات الصراع السوري، بما في ذلك خصائص ومصالح الأطراف المُتحاربة، ومصالح القوى الخارجية المعنيّة، والآثار المُترتّبة على مسار الأحداث لمستقبل سوريا و المنطقة ككُلّ.

ويُستنتج من هذا أنّ إمكانية التوصّل إلى تسويةٍ سياسيةٍ غير مطروحة، بما أن الطبيعة الطائفية للصراع تزداد حدّةً وأن وحدة الجماعات المُتمرّدة لا تزال مُجزّأةً – فلا أُفق لنهاية المأزق الحالي. فقد أصبح الصراع صراعاً وجوديّاً لجميع الأطراف المعنيّة، حتى أنّ سقوط الأسد لن يُنهي أعمال العنف. كما أنّ إنخراط المجموعات الإسلامية المُتطرّفة ومُتشدّدين آخرين يُشكّل تهديداً إرهابياً دولياً قد يُوجّه ضدّ الغرب مُستقبلاً. ومع نهاية العام 2014، قد يعيش أكثر من نصف السّكان السوريين كلاجئين، ممّا قد يُفاقم من التوتّرات الطائفية الموجودة في دول الجوار – وهذا عاملٌ آخرٌ يُفضي إلى الإرهاب في المستقبل. ستُعاني من أثر مُخلّفات الحرب الأهلية السورية لعقودٍ من الزمن.

إن الآراء المذكورة تعكس وجهة نظر الكاتب وحده. يودّ الكاتب شكر كلّ من سيث ج. جونز (Seth G. Jones) وبروس هوفمان (Bruce Hoffman) وكريستوفر س. شيفيس (Christopher S. Chivvis) لمراجعتهم المدروسة للتقرير.

هذه الدراسة هي نِتاج استثمار مؤسسة RAND في الناس وبرنامج الأفكار. يوفّر الدعم لهذا البرنامج بشكلٍ جزئيٍّ من الجهات المانحة، ومن المخصّصات المتاحة لمؤسسة RAND من أجل البحث المستقل، من عقودها مع عملائها.

يمكن إرسال أسئلة أو تعليقات حول هذه الورقة للكاتب: براين مايكل جنكينز Brian Michael Jenkins، مؤسسة RAND،

RAND Corporation, 1776 Main Street, P.O. Box 2138, Santa Monica, CA 90407-2138, (310) 393-0411, x6288, Brian_Jenkins@rand.org

عن الكاتب

براين مايكل جنكينز (Brian Michael Jenkins) هو كبير مستشاري رئيس مؤسسة RAND ومؤلّف للعديد من الكُتب والتقارير والمقالات عن مواضيع تتعلّق بالإرهاب، بما في ذلك "هل يضع الإرهابيون أيديهم على السلاح النووي؟" *(Will Terrorists? Go Nuclear)* (Prometheus Books، 2008). وكان يشغل منصب رئيس قسم العلوم السياسية في مؤسسة RAND. وبمناسبة ذكرى مرور عشر سنوات على عمليّات 11 أيلول، ساهم جنكينز في مبادرة جهود مؤسسة RAND لتقييم مواقف أمريكا وعمل دراسة مُتأنية لاستراتيجيةٍ مُستقبلية. وقد قدّم هذا المجهود في كتابه: "شبح أحداث 11 أيلول: ردّ أميركا على الإرهاب" *(The Long Shadow of 9/11: America's Response to Terrorism)* (براين مايكل جنكينز وجون بول غودجز Brian Michael Jenkins and John Paul Godges، eds.، 2011).



www.rand.org

Arabic Translation
The Dynamics of Syria's Civil War
PE-115/1 (2014)


RAND
CORPORATION